تَهْذِيبُ كِتَابِ

تَعْلِيمِ الْمُتَعَلِّمِ

طَرِيقَ التَّعَلُّمِ

لِلْعَلَّامَةِ بُرْهَانِ الْإِسْلَامِ الزَّرْنُوجِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ (٥٩٣هـ)

هَذَّبَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ

د/ مُحَمَّد ابْنُ الشَّيْخ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ حَسَنٍ الْإِسْحَاقِيُّ

غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِشَيْخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

دَارُ النَّبِيلَةِ

مقديشو - الصومال

عنوان الكتاب : تهذيبُ كتاب تعليمِ المتعلِّم طريقَ التَّعلُّم
للعلَّامة بُرهانِ الإسلام الزَّرنوجيِّ ت(٥٩٣هـ)

هذَّبه وعلَّق عليه: د/ محمَّد ابن الشَّيخ عبد الكريم بن حسن الإسحاقيُّ

عدد الصفحات : ٦٨

مقياس الصفحة : ١٧سم × ٢٤سم

سنة الطباعة : ١٤٤٧هـ - ٢٠٢٦م

الطبعة : الأولى

جميع الحقوق الملكية محفوظة
يمنع طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تصدير الكتاب كاملا

الناشر: دار النبيلة للنشر والتوزيع والطباعة
مقديشو - الصومال - سوق بكارو - بجوار مسجد أبي هريرة
للتواصل والاستفسار: 0612546664 / 252617499686+

بسم الله الرحمن الرحيم

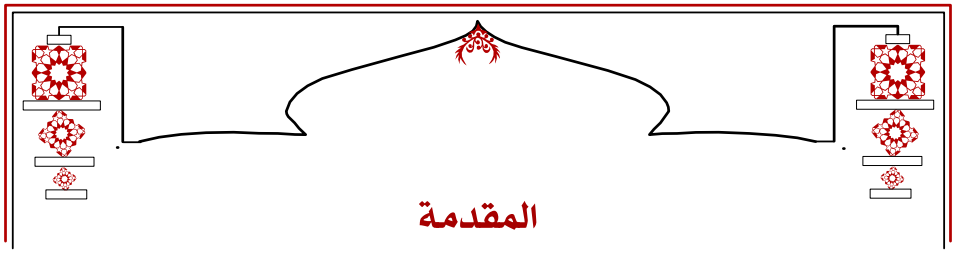

المقدمة

الحمد لله وحده، والصَّلاة والسّلام على نبينا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، أمّا بعد: فإنَّ من مهمَّات طلَّاب العلم العنايةَ بالأدب في طلبهم للعلم، والأدبُ: اسمٌ جامعٌ لمكارم الأخلاق ومعالي الأمور، وقد سمِّي الأدبُ أدبًا لأنَّه يأدِب النَّاسَ، أي: يدعوهم إلى المحاسن والمحامد، وينهاهم عن القبائح والمعايب، وللأدب شأنٌ عظيمٌ في الإسلام، ففي حديث سهل بن سعدٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله كريمٌ يحبُّ الكرم ومعاليَ الأخلاق، ويبغض سفسافها**»، أخرجه الحاكم وصححه[(١)].

وقد جاء في القرآن الكريم ما يدلُّ على مراعاة الأدب في الأقوال والأفعال، ومن أمثلة ذلك: نسبةُ الخير إلى الله تعالى وعدم نسبة الشَّرِّ إليه على لسان نبيِّ الله إبراهيم، والخضر عليهما السلام، والجنِّ، وكذلك إشارةُ القرآن الكريم إلى المعاشرة الجنسيَّة بألفاظ الكناية دون الاسم الصَّريح، مثل «الرَّفث» و«الإتيان» و«المسِّ» و«الإفضاء» و«التغشِّي»، وقد أشار عبد الله بن عبَّاسٍ هذا الأدب القرآنيَّ العظيم بقوله: «الدُّخول

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم (١/ ١١٢).

والتَّغشِّي والإفضاءُ والمباشرةُ والرَّفثُ واللَّمسُ هذا الجماع، غير أنَّ الله حيِيٌّ كريمٌ، يكني بما شاء عما شاء»[(١)].

وقد كان رسول الله ﷺ أعظم الناس أدبًا، وأكرمهم خلقًا، وقد وصفه الله تعالى بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القَلَم: ٤].

وقد بوَّب الإمام البخاريُّ رحمه الله في الأدب المفرد بـ«باب من لم يواجه الناس بكلامه» وأورد حديث عائشة رضي الله عنها قالت: صنع النبي ﷺ شيئا فرخَّص فيه فتنزه عنه قومٌ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فخطب فحمد الله ثم قال: **«ما بالُ أقوامٍ يتنزَّهون عن الشيء أصنعه؟ فوالله إنِّي لأعلمهم بالله وأشدهم له خشيةً»**.

وحديث أنسٍ رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ قلَّما يواجه الرجل بشيءٍ يكرهه، فدخل عليه يومًا رجل وعليه أثر صفرةٍ، فلمَّا قام قال لأصحابه: (لو غيَّر - أو نزع - هذه الصُّفرة).

وبوَّب الإمام أبو داود في سننه بـ«باب حسن العشرة» وأورد فيه جملةً من الأحاديث الدالة على حسن عشرة النبي ﷺ، ومنها حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: «**كان النَّبيُّ ﷺ إذا بلغه عن الرَّجل الشَّيء لم يقل: ما بالُ فلانٍ يقول؟ ولكن يقول: ما بال أقوام يقولون كذا وكذا؟**»[(٢)].

---

(١) رواه عبد الرزاق في المصنف (٦/ ٢٧٧).
(٢) سنن أبي داود (٤/ ٢٥٠) وصححه الألباني.

وأورد أيضًا حديث عائشة ﵂ قالت: استأذن رجل على النبي ﷺ، فقال: «**بئس ابن العشيرة**»، أو «**بئس رجلُ العشيرة**»، ثم قال: «**ائذنوا له**»، فلمَّا دخل ألانَ له القول، فقالت عائشة: يا رسول الله، ألنتَ له القول وقد قلتَ له ما قلتَ، قال: «**إنَّ شرَّ النَّاس عند الله منزلةً يوم القيامة من ودعَه -أو تركَه- النَّاس لاتِّقَاء فُحْشه**»(١).

وبوَّب الإمام البخاريُّ لهذا الحديث: بابٌ «لم يكن النبي ﷺ فاحشا ولا متفحِّشًا»(٢)، وبوَّب له أيضًا - من باب تتميم الفائدة -: «باب ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والرِّيَب»(٣).

ولم يصرح رسول الله ﷺ باللفظ الصريح للمعاشرة الجنسية إلَّا في الاستفهام من الزَّاني فقط، فقد سأله عمَّا فعل بالتَّلميح والإشارة، ثمَّ أعاد سؤاله بصريح العبارة، للحاجة للتصريح قبل إقامة الحدِّ عليه.

وقد أولى العلماء ﵃ ذلك عنايةً كبيرةً، فألَّفوا المؤلفات في باب الأدب، منها المؤلفات الخاصَّة في ذلك، **ومنها المؤلفات الجامعة، ومن ذلك**:

كتاب «الأدب» من صحيح الإمام البخاريِّ ت(٢٥٦هـ)، وكتاب الأدب «المفرد» للإمام البخاريِّ أيضًا، وآداب المعلِّمين لابن سحنون ت(٢٥٦هـ)،

---

(١) سنن أبي داود (٤/ ٢٥١).
(٢) صحيح البخاري (٨/ ١٢).
(٣) صحيح البخاري (٨/ ١٧).

وكتاب «الأدب» من سنن الإمام أبي داود ت(٢٧٥هـ) وهو الكتاب الأخير من السنن، وقد أورد فيه أكثر من (٥٠٠) حديثٍ عن النبي ﷺ، ويشبه إلى حدٍّ كبيرٍ كتاب (الأدب المفرد)، وأخلاق العلماء للآجري ت(٣٦٠هـ)، وأحوال المتعلِّمين للقابسي ت(٤٠٣هـ)، وأدب الدنيا والدين للماوردي ت(٤٥٠هـ) وكتاب «جامع بيان العلم وفضله» للإمام ابن عبد البرِّ ت(٤٦٣هـ) والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغداديِّ ت(٤٦٣هـ)، وتعليم المتعلم طريق التعلم للبرهان الزرنوجي ت(٤٩٠هـ تقريبا)، وأدب الإملاء والاستملاء للسمعاني ت(٥٦٢هـ) ومقدمة المجموع شرح المهذَّب، والتبيان في آدب حملة القرآن كلامهما للإمام النوويِّ ت(٦٧٦هـ) وتذكرة السَّامع والمتكلِّم في أدب العالم والمتعلِّم لابن جماعة ت(٧٣٣هـ) رحمهم الله أجمعين.

ومن المتأخرين جماعةٌ من أهل العلم كالعلامة الشوكاني ت(١٢٥٠هـ) في رسالته: «أدب الطلب ومنتهى الأرب»، والعلامة جمال الدين القاسمي ت(١٣٣٢هـ) في رسالته: «آداب العالم والمتعلم»، والعلامة عبد الرحمن السعدي ت(١٣٧٦هـ) في كتابه: «آداب المعلمين والمتعلمين»، والعلامة الشيخ بكر بن عبد الله أبي زيد في: «حلية طالب العلم»، ولشيخنا الشيخ صالح بن عبد الله بن حمَد العصيميِّ حفظه الله رسالة بعنوان: «تعظيم العلم»، ثمَّ اختصرها بـ«خلاصة في تعظيم العلم» وهي نافعةٌ أخذنا منه مرارًا بحمد الله في

المسجد النبوي الشريف عام **١٤٣٢**هـ وما بعده.

هذه نبذةٌ يسيرةٌ في قيمة الأخلاق العالية في تعلم العلم؛ ولذا يقول **الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيدٍ ت(١٤٢٩هـ)** في «حلية طالب العلم»: «لقد تواردت موجبات الشَّرع على أنَّ التَّحلِّيَ بمحاسن الأدب، ومكارم الأخلاق، والهدي الحسن، والسَّمت الصَّالح: سمة أهل الإسلام، وأنَّ العلم - وهو أثمن دُرَّة في تاج الشَّرع المطهَّر - لا يصل إليه إلَّا المتحلِّيَ بآدابه، المتخلِّيَ عن آفاته، ولهذا عناها العلماء بالبحث والتَّنبيه، وأفردوها بالتَّأليف، إمَّا على وجه العموم لكافَّة العلوم، أو على وجه الخصوص، كآداب حملة القرآن الكريم، وآداب المحدث، وآداب المفتي، وآداب القاضي، وآداب المحتسب، وهكذا . . . والشَّأن هنا في الآداب العامَّة لمن يسلك طريق التَّعلُّم الشرعي».

وأخيرًا فمن كلمات أحد علماء السنة في هذا العصر وهو العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله رحمةً واسعةً، قوله رحمه الله تعالى: «في غمرة هذا التَّوجُّه إلى السُّنة والتَّوحيد كنتُ أظنُّ أنَّ آفة العالم الإسلاميِّ هو جهلهم بالتَّوحيد، وأنَّه يصدق على كثيرٍ منهم قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يُوسُف: ١٠٦]، **لكنِّي مع الزَّمن تكشَّفت لي علَّةٌ أخرى، وهو «فساد الأخلاق»**، لأنَّنا نرى طلَّاب العلم يتخاصمون ويتنازعون. . . لذلك أقول: في صحوة علميَّة لكن ما في تربية إسلاميَّة،

ولذلك مشكلتنا الآن أنَّنا بحاجةٍ إلى تربيةٍ، وهذه الملاحظة هي التي أوحتْ إليَّ أن أقول: دعوتنا يجب أن تقوم على أساسين متينين جدًّا: «**التصفية والتربية**»، تصفية الإسلام ممَّا دخل فيه، فيما يتعلَّق بالعقائد وبخاصَّةٍ في التَّوحيد، وفيما يتعلَّق بالأحاديث الصَّحيحة الَّتي دخل فيها ما ليس منها، . . . وأما التَّربية فبحرٌ لا ساحل له، ولذلك يجب أن نهتمَّ بهذا، ونسأل الله أن يعيننا وإياكم بما يجب علينا جميعًا»[(١)].

وأما بخصوص كتابنا «تعليم المتعلم طريق التعلم» فهو كتابٌ نفيسٌ، أثنى عليه العلماء رحمهم الله سلفًا وخلفًا، وتكاثرت نسخه الخطية، ففي دار الكتب المصريَّة وحدَها أكثر من (١١) نسخةً، ومن ثناءاتهم[(٢)]:

١- قال عبد القادر بن أبي الوفاء القرشي الحنفي ت(٧٧٥هـ): «هو نفيسٌ مفيدٌ، وهو عزيزٌ في بلادنا، حصَّلته بحمد الله»[(٣)].

٢- وقال الكفوي: «هو كتابٌ نفيسٌ مفيدٌ يشتمل على فصولٍ، قليل الحجم، كثير المنافع»[(٤)].

---

(١) مقطع صوتي في اليوتيوب بعنوان: «أزمة الأخلاق عند المسلمين» للشيخ الألباني رحمه الله، وهو تسجيلُ نادر دار بين الشيخ الألباني والشيخ صالح بن غانم السدلان رحمهما الله تعالى.

(٢) استفدت من هذه الثناءات من تحقيق الشيخ علي بن أحمد الرازحي حفظه الله لكتاب (تعليم المتعلم).

(٣) الجواهر المضيئة (٤/ ٣٦٥).

(٤) كتائب أعلام الأخيار ص(٤١٩).

٣- وقال اللكنوي: «قد طالعتُ «تعليم المتعلم» وهو كما قال الكفوي: نفيسٌ مفيدٌ»[١].

٤- قال حاجي خليفة: «نفيسٌ جدًّا»[٢].

٥- وقال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد: «وقد كان العلماء السَّابقون يلقِّنُون الطُّلَّاب في حِلَق العلم آداب الطَّلب، وأدركتُ خبر آخر العِقْد في ذلك في بعض حلقات العلم في المسجد النَّبويِّ الشريف؛ إذ كان بعض المدرسين فيه يدرِّس طلَّابه كتاب الزرنوجي (م سنة ٥٩٣ هـ) رحمه الله تعالى، المسمى: «تعليم المتعلِّم طريق التَّعلم»[٣].

ويظهر أنَّ شيخنا الشيخ العصيمي حفظه الله استلهم كتابه «تعظيم العلم» من الفصل الرابع من كتابنا هذا، والعلم عند الله.

وأما خدمة العلماء لهذا الكتاب فقد تعدَّدت خدماتهم لهذا الكتاب، ما بين تحقيقٍ، وشرحٍ، واختصارٍ، ونظمٍ، وتعليقٍ عليه، ولكن أشير لأشهر تلك الخدمات:

❁ **فمن تحقيقاته:**

١- تحقيق الشيخ علي بن حسن الرَّازحي حفظه الله، حققه على ثلاث نسخٍ خطية، وطبع في الناشر المتميز عام ١٤٤٤هـ.

---

(١) الفوائد (٢٥٤).
(٢) كشف الظنون (١/ ٤٢٥).
(٣) حلية طالب العلم (ص: ١٣٨).

٢- وتحقيق الدكتور علي بن محمد العمران وفقه الله، في دار الحديث النبوي الشريف في البحرين، لعام ١٤٤٦هـ، وأيضًا في سطور البحث العلمي لعام ١٤٤٦هـ.

٣- وحققه كلٌّ من: صلاح محمد ونذير حمدان، في دار ابن كثير.

❁ **وأما شروح الكتاب** فقد وقفت له على عدَّة شروح:

١- **شرح تعليم المتعلم**، للشيخ إبراهيم بن إسماعيل ت(٩٩٦هـ)، وطبع شرحه عدة طبعاتٍ منها دار النوادر.

٢- **تفهيم المتفهِّم على تعليم المتعلِّم**، لإسماعيل بن عثمان البازاري.

٣- **شرح تعليم المتعلم طريق التعلم**، للشيخ صالح بن عبد الله العصيمي، وهو شرحٌ ضمن برنامج اليوم الواحد العاشر، لعام ١٤٣٤هـ ثمَّ فرّغ الكتاب، وهو في ١٢١ صفحةً.

٤- **إقناع المعلم بحلِّ تعليم المتعلم**، لإلياس بن فضل الثقافي، وهو في (٣٢) صفحةً.

٥- **شرح «تعليم المتعلم طريقَ التعلُّم»**، للشيخ عبد الله بن علي جيله الصُّوماليّ حفظه الله، وقد طبع في مكتبة النور بهرجيسا عام ١٤٤٦هـ وهو شرحٌ يعتني بتخريج الأحاديث، وخدمة مباني الكتاب ومعانيه.

❁ **ومن أنظامه**: **مرآة أفكار الرجال نظم تعليم المتعلم**، للشيخ أحمد زيني صولو، وطبع في مطبعة مصطفى البابي الحلبي عام **١٣٥٣**هـ، وهي في (٣٧٣) بيتًا.

❁ **وأما اختصار الكتاب**:

١- **مختصر تعليم المتعلم طريق التعلم**، لـ د/ مثنى علوان الزيدي، وطبع في مجلس علماء العراق، وهو في (٣٠) صفحةً.

٢- **إفادة الطالب الألمعي بخلاصة كتاب «تعليم المتعلم»**، تأليف أبي إسحاق محمد بن محمد الزويد، وهو مكوَّنٌ من (٢٦) صفحةً، وهو من منشورات شبكة الألوكة.

٣- **تهذيب كتاب تعليم المتعلِّم طريقَ التعلم**، وهو كتابنا هذا.

وهناك عدد من الرسائل العلمية لا سيما في أقسام التربية اعتنوا بهذا الكتاب.

❁ **وأمَّا طريقتي في تهذيب هذا الكتاب فهي على النحو التالي**:

١- راعيتُ أن آتي بلُبِّ ما في كتاب «تعليم المتعلِّم» للزرنوجي ﷺ.

٢- أضفتُ في صلب الكتاب أشياءَ جعلتها بين معقوفتين []، وقد كتبتُ سابقًا التَّعليقات كلَّها في هامش الكتاب، فأشار عليَّ سيِّدي الشيخ الوالد -حفظه الله تعالى، وهو ممَّن إشارته حُكمٌ، وطاعته غُنمٌ- أن أكتب أهمَّ ما في التعليقات في صلب الكتاب، مقدِّمًا عليها بـ«قال

المهذِّب»، وقال: «إنَّ كثيرًا من الناس لا يقرؤون ما في الهامش»، وقد قرأتُ عليه - حفظه الله - أكثر تعليقاتي، وأملى عليَّ تعليقاتٍ نفيسةً بارك الله فيه.

٣- أبقيتُ من الأحاديث ما كان مقبولًا؛ ولذا لم أخرِّجها في هذا الكتاب.

واللهَ - تعالى - أسأل أن يجعل العمل في هذا الكتاب خالصًا لوجهه، نافعًا لعباده، وأن يُعيذَ جميع أعمالي من الرِّياء والتَّسميع، وأن يكتب لهذا الكتاب وجميع ما لي القبولَ بين أهل العلم، بارك الله فيَّ وفيهم، كما أسأل الله أن يبارك في مشايخي وعلمائي الذين أخذتُ منهم العلوم روايةً أو درايةً، وأن يبارك أيضًا في جميع من أخذ أو يأخذ عنِّي العلوم روايةً أو درايةً، وفي جميع من ينتفع بهذا الكتاب قراءةً أو تدريسًا، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبينا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه: د/ محمد ابن الشيخ عبد الكريم بن حسنٍ الإسحاقيُّ
مدينة برعو - أرض الصومال
بتاريخ: ٢٠- شوال - ١٤٤٧هـ

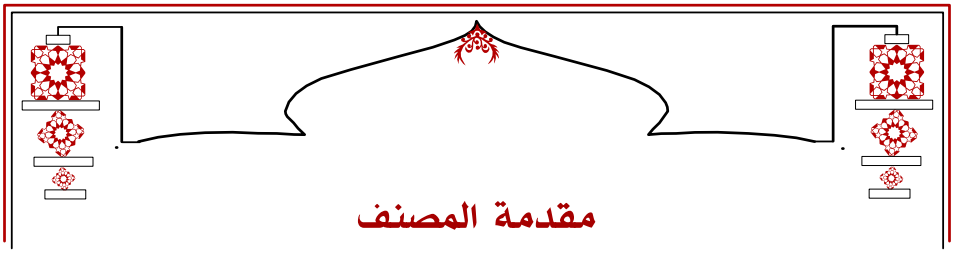

مقدمة المصنف

الحمد لله الذى فضَّل بنى آدم بالعلم والعمل على جميع العالم، والصَّلاة والسَّلام على محمَّد سيِّد العرب والعجم، وعلى آله وأصحابه ينابيع العلوم والحِكَم، وبعد: **فلمَّا رأيت كثيرًا من طلَّاب العلم في زماننا يجِدُّون إلى العلم ولا يصلون، ومن منافعه وثمراته - وهى العمل به والنَّشر - يحرمون؛ لِمَا أنَّهم أخطؤوا طرائقه، وتركوا شرائطه، وكلُّ من أخطأ الطَّريق ضلَّ، ولا ينال المقصود قَلَّ أو جَلَّ**[(١)] أردتُ وأحببتُ أن أبيِّن لهم طريق التَّعلم على ما رأيتُ في الكتب، وسمعتُ من أساتيذي أولي العلم والحِكَم، رجاء الدُّعاء لي من الراغبين فيه، المخلصين، بالفوز والخلاص في يوم الدين، بعد ما استخرتُ الله تعالى فيه، وسمَّيته: «**تعليم المتعلِّم طريق التعلم**».

❁ **وجعلته فصولًا**:

١- فصلٌ: في ماهيَّة العلم، والفقه، وفضله.

---

(١) وهذا يدلُّ أنَّ بلاء ترك «المنهجية في طلب العلم» بلاءٌ قديمٌ، لم يختصَّ به طلَّابُ زماننا فقط، والله المستعان، وذكر أنَّ السبب في ضعف المنهجيَّة في الطَّلب هو الخطأ في الطريق، وترك شرائط العلم.

٢- فصلٌ: في النيَّة في حال التَّعلم.

٣- فصلٌ: في اختيار العلم، والأستاذ، والشَّريك، والثَّبات [على العلم].

٤- فصلٌ: في تعظيم العلم وأهله.

٥- فصلٌ: في الجِدِّ والمواظبة والهمَّة.

٦- فصلٌ: في بداية السَّبَق وقدْرِه وترتيبه.

٧- فصلٌ: في التَّوكُّل [على الله تعالى].

٨- فصلٌ: في وقت التَّحصيل.

٩- فصلٌ: في الشَّفقة والنَّصيحة.

١٠- فصلٌ: في الاستفادة واقتباس الأدب.

١١- فصلٌ: في الورَع في حالة التعلم.

١٢- فصلٌ فيما يورث الحفظ وفيما يورث النسيان.

١٣- فصلٌ فيما يجلب الرزق وما يمنعه، وما يزيد في العمر وما ينقص.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكَّلتُ وإليه أنيبُ.

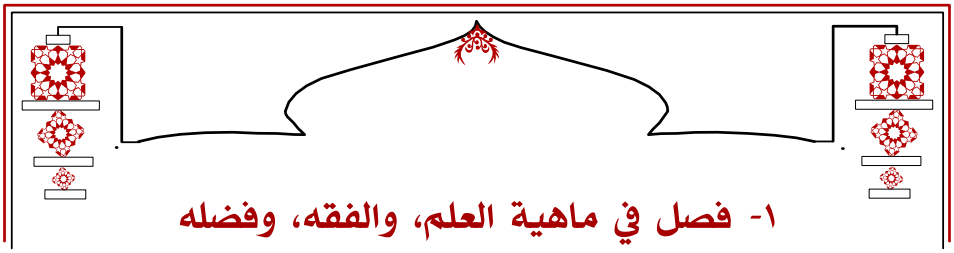

١- فصل في ماهية العلم، والفقه، وفضله

قال رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضةٌ على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ»[(١)]، اعلم بأنَّه لا يُفترضُ على كلِّ مسلمٍ: طلبُ كلِّ علمٍ، وإنَّما يفترض عليه طلب (علم الحال)، فإنَّه يقال: أفضل العلم علم الحال، وأفضل العمل حفظ الحال.

ويفترض على المسلم: طلبُ علمِ ما يقع له في حاله، أي: في أيِّ حالٍ كان، فإنَّه لابدَّ له من الصَّلاة، فيفترض عليه علمُ ما يقع له في صلاته بقدر ما يؤدِّي به فرض الصَّلاة، ويجب عليه بقدر ما يؤدِّي به الواجب؛ لأنَّ ما يتوسَّل به إلى إقامة الفرض يكون فرضًا، وما يُتَوسَّل به إلى إقامة الواجب يكون واجبًا.

وكذا في الصَّوم، والزَّكاة، إن كان له مالٌ، والحجُّ إن وجب عليه، وكذا في البيوع إن كان يتَّجر.

---

(١) الحديث له طرقٌ كثيرةٌ جدًّا، أفرد لها مصنَّفا الحافظ السُّيوطي وقوَّاه بمجموع طرقه، ولكن معناه صحيحٌ، كما قاله ابن القيم في مفتاح دار السعادة (١/ ٤٨٠)، وأما زيادة «ومسلمة» فليست في شيءٍ من طرق الحديث كما قاله الحافظ السَّخاويُّ في «المقاصد الحسنة»، وهذا ما يسمِّيه شيخنا صالحٌ العصيمي حفظه الله بـ(الملزق في الحديث)، وأضافه في أنواع علوم الحديث.

قيل لمحمَّد بن الحسن ت(١٨٩هـ) رحمة الله عليه: لم لا تصنِّف كتابًا في الزُّهد؟ قال: قد صنَّفتُ كتابًا في البيوع، يعنى: الزَّاهد من يحترز عن الشُّبهات والمكروهات في التِّجارات! وكذلك في سائر المعاملات والحِرَف، وكلُّ من اشتغل بشيءٍ منها يُفترضُ عليه علم التَّحرز عن الحرام فيه.

وكذلك يفترض عليه **علمُ أحوال القلب** من التوكُّل والإنابة والخشية والرِّضى، فإنه واقعٌ في جميع الأحوال.

وشرف العلم لا يخفى على أحدٍ؛ إذ هو المختصُّ بالإنسانيَّة[1]؛ لأنَّ جميع الخصال سوى العلم يشترك فيها الإنسان وسائر الحيوانات: كالشجاعة والجراءة والقوة والجود والشَّفقة وغيرها سوى العلم.

وبه أظهر الله تعالى فضل آدم عليه السلام على الملائكة، وأمرهم بالسُّجود له، وإنّما شرُفَ العلم لكونه وسيلةً إلى البرِّ والتقوى، الذي يستحقُّ به المرء الكرامة عند الله تعالى، والسَّعادة الأبدية، كما قيل لمحمَّد بن الحسن رحمة الله عليهم شعرًا:

تعلَّم فإن العلم زينٌ لأهله ... وفضلٌ وعنوانٌ لكلِّ محامد
وكن مستفيدًا كلَّ يومٍ زيادةً ... من العلم واسبَح في بحور الفوائد
تفقَّه فإنَّ الفقه أفضل قائدٍ ... إلى البرِّ والتَّقوى وأعدلُ قاصد

(١) مراده: أنَّ التَّعني بتحصيل العلم وإحرازه هو من شأن الإنسان دون غيره، مع أنَّه يحصل لغيره والعلم عند الله، قاله الشيخ الرازحي في تحقيقه للكتاب ص(٤٨).

هو العَلَم الهادي الى سُنن الهدى هو الحِصْن ينجي من جميع الشَّدائد
فإنَّ فقيهًا واحدًا متورِّعًا أشدُّ على الشَّيطان من ألف عابد

والعلمُ وسيلةٌ إلى معرفة: التكبُّر، والتَّواضع، والأُلفة، والعفَّة، والإسراف، والتقتير، وغيرها، وكذلك في سائر الأخلاق نحو الجود، والبُخل، والجبن، والجرأة؛ فإنَّ الكبر والبخل والجبن والإسراف حرامٌ، ولا يمكن التَّحرُّز عنها إلَّا بعلمها، وعلم ما يضادُّها، فيفترض على كلِّ إنسان علمها.

وأمَّا حفظُ ما يقع في بعض الأحايينِ ففرضٌ على سبيل الكفاية إذا قام به البعض في البلدة سقط عن الباقين.

و(علم النُّجوم) بمنزلة المرض، فتعلُّمه حرامٌ؛ لأنَّه يضرُّ ولا ينفع.

وأمَّا تعلّم (علم الطِّبِّ) فيجوز؛ لأنَّه سببٌ من الأسبابِ، فيجوزُ تعلُّمه كسائر الأسباب، وقد تداوى النَّبيُّ ﷺ، وقد حُكي عن الشَافعيّ رحمه الله عليه أنَّه قال: العلم علمان: علم الفقه للأديان، وعلم الطّبِّ للأبدان، وما وراء ذلك بُلغة مجلسٍ!

وأمَّا تفسير العلم: فهو صفةٌ يتجلَّى بها المذكور لمن قامت هي به كما هو.

والفقه: معرفة دقائق العلم مع نوع علاجٍ، قال أبو حنيفة ت(١٥٠هـ) رحمة الله عليه: «الفقه معرفة النفس ما لها وما عليها».

وقال: «ما العلم إلَّا العمل به، والعمل به ترك العاجل للآجل».

فينبغي للإنسان ألَّا يغفل عن نفسه، ما ينفعها وما يضرُّها، في أوَّلها وآخرها، فيستجلب ما ينفعها ويجتنب عمَّا يضرُّها، كي لا يكون عقلُه وعملُه حجَّةً عليه فيزداد عقوبةً، نعوذ بالله من سخطه وعقابه.

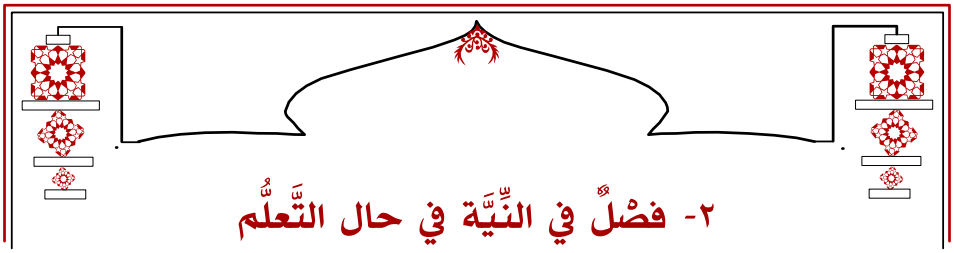

٢- فصْلٌ في النِّيَّة في حال التَّعلُّم

ثم لابدَّ له من النيَّة في زمان تعلُّم العلم؛ إذ النِّية هي الأصلُ في جميع الأفعال؛ لقوله ﷺ: «**إنَّما الأعمال بالنِّيَّات**»(١).

وكم من عملٍ يُتَصوَّر بصورة (عمل الدُّنيا)، ثم يصيرُ بحسن النِّية من (أعمال الآخرة)، وكم من عملٍ يتصوَّر بصورة (عمل الآخرة)، ثمَّ يصيرُ من (أعمال الدنيا) بسوء النيَّة.

وينبغي أن ينويَ المتعلِّم بطلب العلم: رضاءَ الله والدَّارَ الآخرة، وإزالةَ الجهل عن نفسه وعن سائر الجهَّال، وإحياءَ الدِّين، وإبقاءَ الإسلام؛ فإنَّ بقاء الإسلام بالعلم، ولا يصح الزُّهد والتَّقوى مع الجهل.

وينوي به: الشكر على نعمة العقل، وصحَّة البدن.

ولا ينوى به إقبالَ النَّاس عليه، ولا استجلابَ حطام الدُّنيا، والكرامةَ عند السُّلطان وغيره.

قال محمَّد بن الحسن ت(١٨٩هـ) رحمة الله عليهما: «لو كان النَّاسُ

(١) رواه البخاريُّ (١) ومسلمٌ (٤٢٢٧) في صحيحيهما.

كلُّهم عبيديْ لأعتقتُهمْ وتبرَّأتُ عن ولائهم؛ وذلك لأنَّ من وجدَ لذَّة العلم والعمل به قلَّما يرغبُ فيما عند النَّاس».

اللهمَّ إلَّا إذا طلب الجاهَ للأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، وتنفيذِ الحقِّ، وإعزازِ الدِّين، لا لنفسه وهواه، فيجوز ذلك بقدر ما يقيم به الأمرَ بالمعروف والنَّهيَ عن المنكر.

وينبغي لطالب العلم: أن يتفكَّر في ذلك، فإنَّه يتعلَّم العلم بجهد كثير، فلا يصرفه إلى الدُّنيا الحقيرة القليلة الفانية.

وينبغي لأهل العلم ألَّا يذلَّ نفسه بالطَّمع في غير المطمع، ويحترز عمَّا فيه مذلَّة العلم وأهله، ويكون متواضعًا، والتَّواضعُ بين التَّكبُّر والذِّلَّة، والعفَّةُ كذلك.

[قال المهذِّب :

والنِّية في العلم يدخل تحتها أربعة أشياء: رفع الجهل عن نفسه، والطَّلب للعمل به، وإحياء الشريعة، ونشر العلم، كما قيل ذلك في النظم:

ولْتقصِدوا أربعةً قبل ابتِدا تعلَّموا لكي تفوزوا بالهدى
أوّلها: الخروج من ضَلال والثَّان: نفعُ خلْقِ ذي الجلال
والثَّالثُ: الإحياءُ للعلوم والرَّابع: العملُ بالمعلوم

وموضوع النية من أهمِّ الآداب التي على طالب العلم تفقُّدها، قال القرافي المالكي ت(٦٨٤هـ): «اعلم أنَّ أعظمها - أي: آداب الطلب - الإخلاص لله ﷻ؛ فإنَّه إذا فَقد انتقل العلم من أفضل الطَّاعات إلى أقبح المخالفات»(١).

والنية مهمَّةٌ جدًّا في طلب العلم وفي كلِّ عبادةٍ يتقرَّب بها إلى الله، وقد أخرج الحافظ ابن أبي الدنيا ت(٢٨١هـ) عن **الحسن البصري**: «إن كان الرجل ليجتمع إليه القوم أو يجتمعون يتذاكرون فتجيءُ الرَّجلَ عَبْرتُه فيردها ثم تجيء فيردها ثم تجيء فيردها فإذا خشي أن يفلت قام»(٢).

وفيه أيضًا عن معمرٍ قال: «بكى رجلٌ إلى جنب الحسن فقال: قد كان أحدهم يبكي إلى جنب صاحبه فما يُعْلَم به».

---

(١) الذَّخيرة (١/ ٤٧).
(٢) الإخلاص والنية لابن أبي الدنيا (٦٣).

وقال الحافظ ابن الجوزي ت(٥٩٧هـ): «ومتى نظر العامل إلى التفات القلوب إليه فقد زاحم الشركُ نيَّته؛ لأنَّه ينبغي أن يقنع بنظر من يعمل له»(١).

وقال العلامة ابن القيم ت(٧٥١هـ): «فإذا حدَّثتك نفسك بطلب الإخلاص: فاقبل على الطَّمع أوَّلا فاذبحه بسكِّين اليأس، واقبل على المدح والثَّناء، فازهد فيهما زهد عشَّاق الدنيا في الآخرة، فإذا استقام لك ذبح الطَّمع، والزُّهد في الثَّناء والمدحِ سهُل عليك الإخلاصُ . . . أمَّا ذبح الطمع فيسهِّله عليك علمُك يقينًا أنَّه ليس من شيءٍ يُطمع فيه إلَّا وبيد الله وحده خزائنه لا يملكها غيره، ولا يؤتى العبد منها شيئًا سواه، وأمَّا الزُّهد في الثَّناء والمدح: فيسهِّله عليك علمُك أنَّه ليس أحدٌ ينفع مدحُه ويزين، ويضرُّ ذمُّه ويشين، إلَّا الله وحده كما قال ذلك الأعرابيُّ للنَّبيِّ ﷺ: «**إنَّ مدحيْ زينٌ، وذمِّيْ شَينٌ**»، فقال: «**ذلك الله عَزَّوَجَلَّ**»»(٢).

والرياء أمره خطيرٌ في طلب العلم وهو من أكثر الأمراض المنتشرة بين طلبة العلم، وهو أنواعٌ أشار إليها بعض أهل العلم، **فمنها**: أن يحرص الطَّالب إظهار حرصه على العلم واجتهاده فيه، **ومنها**: أن يُظهر قوَّته في النِّقاش والرَّدِّ ليقال مناقشٌ لا لأجل نصرة الحقِّ ونفع الناس، **ومنها المراءاة بالشيوخ**؛ لينال إعجاب الناس لا لنفعهم، **ومنها المراءاة**

---

(١) صيد الخاطر ص(٣٧٤).
(٢) الفوائد (ص: ١٤٩).

بالكتب، فبعضهم يستعرض ما يقتنيه من كتبٍ طالبًا ثناء الناس ومدحهم، وهذا بابٌ واسعٌ، فمتى دخل في قلب طالب العلم النَّظر إلى الناس وانتظار مدحهم وثنائهم فقد دخل في ساحة الرِّياء القبيحة.

قال العلامة القرافي المالكي ت(٧٨٤هـ): «وحقيقة الرِّياء: أن يعمل الطَّاعة لله وللنَّاس، ويسمَّى «رياءَ الشِّرك» أو للنَّاس خاصَّةً، ويسمَّى «رياء الإخلاص»، وكلاهما يصير الطَّاعة معصيةً، وأغراض الرِّياء الباعثةُ عليه منحصرةٌ في ثلاثة: جلب الخيور، ودفع الشُّرور، والتَّعظيم، ويلحق بالرِّياء: التسميعُ، وهو أن يقولَ: علمتُ كذا، أو حفظتُ كذا، أو غير ذلك من أعمال البِرِّ . . . واعلم يا أخي: أنَّ هذا مقامٌ تشيبُ منه النَّواصي، ولا يعتصم منه بالصَّياصي، فينبغي لك أن توفِّر العناية عليه، والجِدَّ فيه، مستعينًا بالله تعالى . . . ولكنِّي أدلُّك على أعظم الوسائل مع بذل الاجتهاد وهو: أن تكون مع بذل جُهدك شديدَ الخوف، عظيمَ الافتقار، ملقيًا للسِّلاح، معتمدًا على ذي الجلال، مخرجًا لنفسك من التَّدبير، فإنَّ هذه الوسيلةَ هي العروة الوثقى لماسكها، وطريق السَّلامة لسالكها، والله تعالى هو المسئول المبتهل لجلاله في السلامة من عذابه. . . واعلم أنَّه ليس من الرياء: قصد اشتهار النَّفس بالعلم لطلب الاقتداء، بل هو من أعظم القربات، فإنَّه سعيٌ في تكثير الطاعات وتقليل المخالفات وكذلك قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي

﴿ٱلْأَخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ٨٤] قال العلماء: معناه «يقتدي بي من بعدي»، ولهذا المعنى أشار عليه السلام بقوله: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث علم ينتفع به**» حضًّا على نشر العلم؛ ليبقى بعد الإنسان لتكثير النفع، ومنه قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾ [الشَّرح: ٤] على أحد الأقوال، وقال العلماء بالله: ينبغي للعابد السَّعيُ في الخمول والعزلة؛ لأنَّهما أقرب إلى السَّلامة، وللعالم السَّعيُ في الشُّهرة والظُهور؛ تحصيلًا للإفادة، ولكنَّه مقام كثير الخطر، فربَّما غلبت النَّفس وانتقل الإنسانُ من هذا المعنى إلى طلب الرِّئاسة، وتحصيل أغراض الرياء والله المستعان، وهو حسبنا في الأمر كله»[1].

(١) الذخيرة (١/ ٤٨-٥٠).

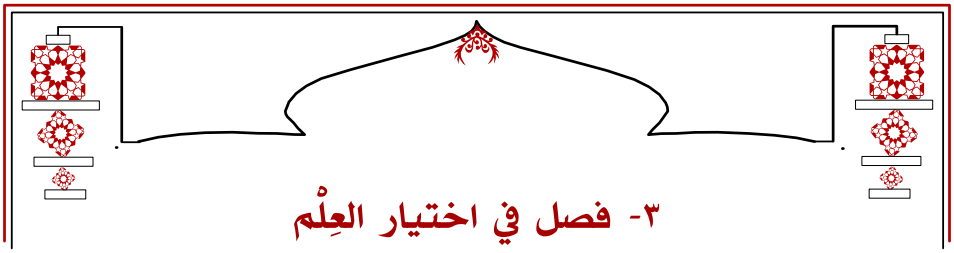

٣- فصل في اختيار العِلْم والأستاذ والشَّريك والثَّبات عليه

وينبغي لطالب العلم أن يختار من كلِّ علمٍ أحسنَه، وما يحتاج إليه في أمر دينه في الحال، ثمَّ ما يحتاج إليه في المآل.

ويقدِّمُ علمَ التَّوحيد والمعرفة، ويعرفَ الله تعالى بالدَّليل، ويختارُ العتيق دون المُحدِثات، قالوا: عليكم بالعتيقِ[(١)]، وإيَّاكم بالمحدثات[(٢)]، وإيَّاك أن تشتغل بهذا الجدال الذي ظهر بعد انقراض الأكابر من العلماء، فإنَّه يبعدُ الطَّالبَ عن الفقه ويضيِّعُ العمرَ، ويورثُ الوحشة والعداوة، وهو من أشراط السَّاعة، وارتفاعُ العلم والفقه كذا ورد في الحديث[(٣)].

---

(١) أي: القديم، والمراد ما كان عليه السلف الصالح ﷺ.

(٢) رُوينا في سنن الدارمي (١/ ٢٥١) عن عبد الله بن مسعود ﷺ: «تعلَّموا العلم قبل أن يُقبضَ، وقبضه أن يذهب أهله، ألا وإيَّاكم والتنطُّع، والتَّعمُّق، والبدع، وعليكم بالعتيق».

(٣) من الجدل محمودٌ ومذمومٌ، فالمحمود: ما كان لإظهار الحقِّ وبيانه وتوضيحه، والمذموم: ما كان على الجهل أو طلب المغالبة، أو لردِّ الحق، وهو الذي قصده المصنِّف ﷺ، ويراجع كتاب: «أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة» للشيخ الفاضل/ حمد العثمان حفظه الله.

أمَّا اختيار الأستاذ: فينبغي أن يختار الأعلم والأورعَ والأسنَّ، كما اختار أبو حنيفة رحمة الله عليه «حمَّادَ بن سليمان» ت(١٢٠هـ) بعد التأمُّل والتفكير، قال: وجدتُه شيخًا وقورًا حليمًا صبورًا في الأمور، وقال: «ثبتُّ عند حمَّادِ بن سليمان فنبتُّ».

وينبغي أن يشاور في كلِّ أمرٍ؛ فإنَّ الله تعالى أمر رسوله عليه الصَّلاة والسَّلام بالمشاورة في الأمور ولم يكن أحدٌ أفطن منه، ومع ذلك أمر ﷺ بالمشاورة، وكان يشاورُ أصحابه في جميع الأمور.

وطلب العلم من أعلى الأمور وأصعبها، فكانت المشاورة فيه أهمَّ وأوجبَ.

واعلم أنَّ الصَّبر والثَّبات أصلٌ كبيرٌ في جميع الأمور ولكنَّه عزيزٌ، كما قيل:

لكلِّ إلى شأو[1] العُلَا حركاتُ ولكن عزيزٌ في الرِّجال ثباتُ

قيل: ما الشَّجاعة؟ قيل: الشُّجاعة صبر ساعة.

فينبغي أن يثبت ويصبر على أستاذٍ وعلى كتابٍ حتَّى لا يتركه أبترَ، وعلى فنٍّ حتى لا يشتغل بفنٍّ آخر قبل أن يتقن الأوَّل، وعلى بلدٍ حتى لا ينتقل إلى بلد آخر من غير ضرورة، فإن ذلك كلَّه يفرِّق الأمور ويشغل القلبَ ويضيع الأوقات ويؤذي المعلِّم، وينبغي أن يصبر عمَّا تريده نفسه وهواه، ويصبرَ على المِحَن والبليَّاتِ، فقد قيلَ: خزائن المِنن على قناطِرِ المحن.

---

(١) أي: غاية العلا.

وأما اختيار الشَّريك[١]: فينبغي أن يختار المـُجِدَّ والورِعَ وصاحب الطَّبع المستقيم المتفهِّم، ويفرَّ من الكسلان والمعطِّل والمكثار والمفسد والفتَّان.

قال الشَّاعر: [الطويل]

عن المرء لا تسل وأبصر قرينَه فكلُّ قرينٍ بالمقارن يقتدي

فإن كان ذا شرٍّ فجانبهُ سُرعةً وإن كان ذا خيرٍ فقارنه تهتدى

وأنشدت شعرًا آخر: [الكامل]

لا تصحب الكسلان في حالاته كم صالحٍ بفساد آخرَ يفسدُ

عدوى البليد إلى الجليد سريعةٌ كالجَمر يوضَع في الرَّماد فيخمدُ

قال النبي ﷺ: «**كلُّ مولودٍ يولد على فطرة الإسلام، إلَّا أنَّ أبواه يهوِّدانه وينصِّرانه ويمجِّسانه**» الحديث[٢].

(١) وهو الرفيق والزميل في الدراسة والحفظ والمراجعة، كما في تحقيق الشيخ الرازحي للكتاب ص(٧١).

(٢) رواه البخاري (١٣٥٨) ومسلم (٤٧٤١) في صحيحيهما.

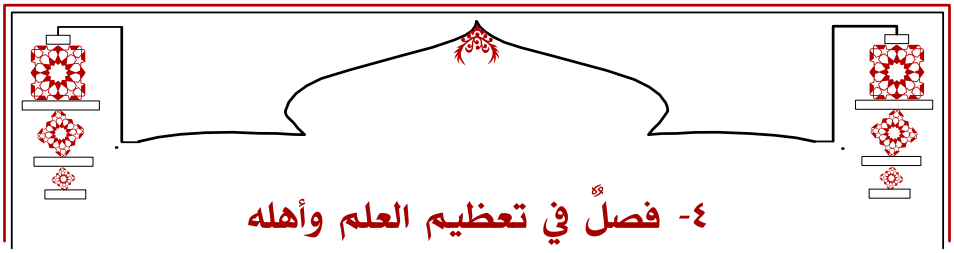

٤- فصلٌ في تعظيم العلم وأهله

اعلم أنَّ طالب العلم لا ينال العلم ولا ينتفع به إلَّا بتعظيم العلم وأهله، وتعظيم الأستاذ وتوقيره.

فقد قيلَ: ما وصَل من وصَل إلَّا بالحرمة، وما سقط من سقط إلَّا بترك الحُرمة[١].

ومن تعظيم العلم تعظيم الأستاذ، قال عليٌّ رضي الله عنه: «أنا عبدُ من علَّمني حرفًا واحدًا، إن شاء باع، وإن شاء استرقَّ؛ فإنَّ من علَّمك حرفًا واحدًا ممَّا تحتاج إليه في الدِّين فهو أبوك في الدِّين»[٢].

ومن توقير المعلِّم ألَّا يمشيَ أمامه، ولا يجلسَ مكانه، ولا يبتدئَ

---

(١) معناه: (ما وصل الواصلون إلى المراتب العالية إلا باحترام العلم والأستاذ) مستفادٌ من شرح الشيخ عبد الله علي جيله حفظه الله.

(٢) جاء نحوه عن السَّلف، قال البغوي في «الجعديات» (١٢): قال شعبة بن الحجاج: «كلُّ من كتبت له حديثًا فأنا له عبدٌ» وصحَّ عنه هذا، وليس المقصود بالعبودية العبودية الحقيقية؛ إذ الحرُّ المسلم لا يسترقُّ كما في مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٨/ ٣٤٥)، ولكنَّ المقصود هو الاحترام والتقدير للأبوَّة الدينيَّة.
ومن الكلمات المشتهرة بين أهل العلم: «أبو الإفادة أقوى من أبي الوِلادة» ينظر: النظائر للشيخ بكر أبو زيد ص(٢٨٣)

بالكلام عنده إلَّا بإذنه، ولا يكثرَ الكلامَ عنده، ولا يسألَ شيئًا عند ملالته، ويراعيَ الوقتَ، ولا يدقَّ الباب بل يصبرُ حتى يخرج الأستاذ.

فالحاصل: أنَّه يطلب رضاه، ويجتنب سخطه، ويمتثل أمره في غير معصية الله تعالى، فإنَّه لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق.

ومن توقيره: توقير أولاده ومن يتعلَّق به.

فمن تأذَّى منه أستاذه يحرم بركة العلم ولا ينتفع بالعلم إلَّا قليلًا.

إنَّ المعلِّم والطَّبيبَ كلاهما لا ينصحان إذا هما لم يُكرما
فاصبر لدائك إن جفوت طبيبه واقنع بجهلك إن جفوت معلِّما

ومن تعظيم العلم: تعظيم الكتاب، فينبغي لطالب العلم ألَّا يأخذ الكتاب إلَّا بطهارةٍ.

وحكي عن الشيخ شمس الأئمة الحلواني رحمه الله تعالى ت(٤٤٨هـ) أنه قال: إنَّما نلتُ هذا العلم بالتَّعظيم، فإنِّي ما أخذت الكاغَدَ[1] إلَّا بطهارةٍ.

والشيخ الإمام شمس الأئمة السَّرخسيُّ ت(٤٩٠هـ) كان مبطونًا في ليلةٍ، وكان يكرِّر [الدَّرس]، وتوضأ في تلك الليلة سبع عشرة مرَّةً؛ لأنَّه كان لا يكرِّر إلَّا بالطهارة، وهذا لأنَّ العلم نورٌ، والوضوء نورٌ، فيزداد نور العلم به.

---

(١) أي: القرطاس.

ومن التَّعظيم الواجب للعالم ألَّا يمدَّ الرِّجل إلى الكتاب ويضع كتاب التَّفسير فوق سائر الكتب تعظيمًا، ولا يضع شيئًا آخر على الكتاب.

ومن التَّعظيم: أن يجوِّدَ كتابة الكتاب ولا يقرمطُ[1]، ويترك الحاشية أي عند الضرورة، ورأى أبو حنيفةَ رحمه الله تعالى كاتبًا يقرمِطُ في الكتابة، فقال: لِمَ تُقرمِط خطَّك؟ إن عشتَ تندمْ، وإن مُتَّ تُشتَم!

ومن تعظيم العلم: تعظيم الشركاء [أي: الزملاء والأقران] في طلب العلم والدرس ومن يتعلم منه، والتَّملُّق مذمومٌ[2] إلَّا في طلب العلم، فإنَّه ينبغي أن يتملَّقَ لأستاذه وشركائه ليستفيدَ منهم.

وينبغي لطالب العلم أن يستمع العلم والحكمة بالتَّعظيم والحُرمة، وإن سمع مسألةً واحدةً أو حكمةً واحدةً ألف مرَّةٍ.

وينبغي لطالب العلم ألَّا يختار نوع العلم بنفسه، بل يفوِّض أمره إلى الأستاذ، فإنَّ الأستاذ قد حصل له التَّجارِبُ في ذلك، فكان أعرف بما ينبغي لكل واحدٍ وما يليق بطبيعته.

وكان الشيخ الإمام الأجلُّ الأستاذ برهان الحقِّ والدِّين [هو المرغينانيُّ ت٥٩٣هـ صاحب الهداية] رحمه الله تعالى يقول: «**كان طلبة العلم في الزمان الأول يفوِّضون أمرهم في التَّعلم إلى أساتذتهم، وكانوا يصلون إلى مقصودهم**

---

(١) القرمطة في الخط: دقة الكتابة وتداني الحروف.
(٢) التَّملُّق هو: التودّد والتلطف الشديد.

ومرادهم، والآن يختارون بأنفسهم، فلا يحصل مقصودهم من العلم والفقه».

وينبغي لطالب العلم: ألَّا يجلسَ قريبًا من الأستاذ عند السَّبَق بغير ضرورةٍ، بل ينبغي أن يكون بينه وبين الأستاذ قدر القوسِ فإنَّه أقرب إلى التعظيم.

وينبغي لطالب العلم: أن يحترز عن الأخلاق الذَّميمة؛ **فإنَّها كلابٌ معنويَّة**[(١)]، وقد قال رسول الله ﷺ: «**لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلبٌ أو صورة**»[(٢)] وإنما يتعلَّم الإنسان بواسطة ملَكٍ.

وليحترز خصوصًا عن التَّكبُّر، ومع التكبُّر لا يحصل العلم[(٣)].

---

(١) ممَّن جمع تلك الأخلاق الذَّميمة د. سلطان بن عبد الرحمن العميري في خاتمة كتابه «جُنَّة السَّالكين في شرح الوصيَّة الصُّغرى لشيخ الإسلام ابن تيميَّة»، ص(٢٢٣-٢٤٥)، وذكر خمسة عشر مرضًا من الأمراض والذنوب المنتشرة بين المشتغلين بالعلم، وهي: الرياء، والغيبة، والنَّميمة، والكبرُ، والبغي والظُّلم، والكذب، والعُجب، والحسد، والتَّقصير في الواجبات، والتعصُّب، وحظوظ النَّفس، وحبُّ الشُّهرة، والقول بلا علمٍ، وسوء الظنِّ بالآخرين، والجدال، وقد أفاد وأجادَ جزاه الله خيرًا ونفع به.

(٢) وبنحو هذا قاله شيخ الإسلام ابن تيميَّة كما نقله عنه العلَّامة ابن القيِّم في مدارج السَّالكين (٢/ ٣٩١) فقال: «وسمعته [يعني الشيخ ابن تيمية] يقول: في قول النبي ﷺ: «لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة» إذا كانت الملائكة المخلوقون يمنعها الكلب والصورة عن دخول البيت، فكيف تَلِج معرفةُ الله ﷻ ومحبَّتُه وحلاوة ذكْرِه، والأنسُ بقُربِه في قلبٍ ممتلئٍ بكلاب الشَّهوات وصُوَرها؟ فهذا من إشارة اللَّفظ الصَّحيحة».

(٣) ومرجعه إلى التعالي عن قبول الحق، واحتقار الناس، ومن صور الكبر: الكبر بالشُّيوخ، فترى بعضهم يتفاخر على الناس بأنَّه درس على فلانٍ وفلانٍ، =

قيل:

العلمُ حربٌ للفتى المتعالي كالسَّيلِ حربٌ للمكان العالي

[قال المهذِّب:

ومن الأدلة الدالة على أنَّ الكبرَ من موانع فهْم العلم الشَّرعيِّ قول الله تعالى: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

قال الحافظ ابن كثيرٍ في تفسيره: «أي: سأمنع فهم الحجج والأدلة على عظمتي وشريعتي وأحكامي قلوب المتكبرين عن طاعتي، ويتكبرون على الناس بغير حق، أي: كما استكبروا بغير حق أذلهم الله بالجهل، كما قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ [الأنعام: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ [الصَّف: ٥]، وقال بعض السلف: «لا ينال العلم حيي ولا مستكبر»».

وقال آخر: «من لم يصبر على ذل التعلم ساعة، بقي في ذل الجهل أبدا».

= ومن صور الكِبر: التَّقليل من قدر المبرِّزين في العلم، والتحقير من شأنهم، ومحاولة إلصاق الأوصاف والتهم بهم، - مع براءتهم منها - وتتبع أخطائهم وزلاتهم، هذا مع سلامة ظاهرهم واستقامة جانبهم، مستفادٌ من كتاب جُنَّة السالكين في شرح الوصية الصغرى لـ د. سلطان بن عبد الرحمن العميري ص(٢٢٨-٢٨٩).

وقال سفيان بن عيينة في قوله: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦] قال: «أنزع عنهم فهم القرآن، وأصرفهم عن آياتي».

قال ابن جريرٍ: «وهذا يدلُّ على أنَّ هذا خطابٌ لهذه الأمَّة».

[قلتُ - أي ابن كثير -: «ليس هذا بلازمٍ؛ لأنَّ ابن عيينة إنَّما أراد أنَّ هذا مطَّردٌ في حقِّ كلِّ أمَّةٍ، ولا فرق بين أحَدٍ وأحدٍ في هذا، والله أعلم»[(١)]].

وهذا الفصل الذي عقده المصنِّف لتعظيم العلم مهمٌّ جدًّا، وقد رُوينا في سنن الإمام الدَّارميِّ قوله في المقدِّمة: «**بابٌ: في إعظام العلم**»[(٢)] ثم أسند عن وهب بن منبِّهٍ قوله: «كان أهل العلم فيما مضى: يضِنُّون بعلمهم عن أهل الدُّنيا، فيرغب أهل الدُّنيا في علمهم، فيبذلون لهم دنياهم، وإنَّ أهل العلم اليوم بذلوا علمهم لأهل الدُّنيا، فزهِد أهل الدُّنيا في علمهم، فضنُّوا عليهم بدنياهم!»].

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة (٣/ ٤٧٥)
(٢) سنن الدارمي (١/ ٤٩٩).

٥- فصْلٌ في الجِدِّ والمواظبة والهمَّة

ثم لا بدَّ من الجِدِّ والمواظبة والملازمة لطالب العلم، وإليه الإشارة في القرآن بقوله تعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ﴾ [مَريَم: ١٢]. وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العَنكبوت: ٦٩].

قيل: [الوافر]:

بِجِدٍّ لا بِجَدٍّ كلُّ مجْدٍ ... فهل جَدٌّ بلا جِدٍّ بمُجْدي

فكَم عبدٍ يقوم مقام حُرٍّ ... وكم حُرٍّ يقوم مقام عبدِ

وقيل: من طلب شيئا وجَدَّ وجَد، ومن قرع الباب ولجَّ ولجَ.

وقيل: بقدر ما تتعنَّى تنال ما تتمنَّى.

وقيل: يَحتاجُ في التَّعلم والتَّفقه إلى الجِدِّ ثلاثة: المتعلِّم، والأستاذ، والأب إن كان في الأحياء.

[**نُسِبَ للإمام الشافعي** رحمه الله قوله] [الطويل]:

تمنَّيت أن تُمسيْ فقيهًا مُناظرًا ... بغير عَناءٍ، والجنونُ فنونُ

وليس اكتسابُ المال دون مشقَّةٍ ... تحمَّلُها، فالعلم كيف يكون؟

قال أبو الطَّيب المتنبي ت(٣٥٤): [الوافر]:

ولم أرَ في عيوب الناس عيبًا كنقص القادرين على التَّمام

ولا بدَّ لطالب العلم من سهر اللَّيالي كما قال الشاعر: [الوافر]:

بقدر الكَدِّ تَكتسِبُ المعالي ومن طلب العلى سهِر اللَّيالي
تروم العزَّ ثمَّ تنام ليلًا يغوص البحر من طلب اللآلي
علوُّ الكعب بالهمم العوالي وعزُّ المرء في سهَر اللَّيالي
ومن رام العُلى من غير كدٍّ أضاع العمر في طلب المُحال
تركتُ النوم - ربِّي - في اللَّيالي لأجل رضاك يا مولى الموالي
فوفقِّني إلى تحصيل علمٍ وبلِّغني إلى أقصى المعالي

وقيل: اتَّخذِ اللَّيل جملًا تدركْ به أملًا.

قال المصنِّف رحمه الله: وقد اتَّفق لي نظمٌ في هذا المعنى: [البسيط]:

من شاء أن يحتويْ آمالَه جُمَلًا فليتَّخذ ليلَه في دَرْكِها جَمَلَا
قلِّل طعامك كي تحظى به سهَرًا إن شئتَ يا صاحبي أن تبلغ الكَمَلَا

وقد قيل: من أسهر نفسَه بالليل فقد فرَّح قلبه بالنَّهار.

ولا بدَّ لطالب العلم من المواظبة على الدَّرس والتَّكرار في أول الليل وآخره، فإن ما بين العشاءين ووقت السَّحر وقتٌ مباركٌ.

قيل في هذا المعنى: [البسيط]:

يا طالب العلم باشر الورعا ... وجانب النَّوم واترك الشِّبَعا

داوِمْ على الدَّرس لا تفارقُهُ ... فالعلمُ بالدَّرس قام وارتفعا

فيغتنم أيَّام الحداثة وعنفوان الشباب، كما قيل: [الوافر]:

بقدر الكَدِّ تُعطَى ما تروم ... فمن رام المنى ليلًا يقومُ

وأيَّامَ الحَداثة فاغتنمها ... ألا إنَّ الحَداثة لا تدومُ

فلا بدَّ لطالب العلم من الهمَّة العالية في العمل؛ **فإنَّ المرء يطير بهمَّته كالطير يطير بجناحيه**.

وقال أبو الطيب ت(٣٥٤هـ) رحمه الله: [الطويل]:

على قدر أهل العزم تأتى العزائمُ ... وتأتي على قدر الكرام المكارمُ

وتعظم في عين الصَّغير صِغارها ... وتصْغُر في عين العظيم العظائمُ

والرُّكن في تحصيل الأشياء: الجِدُّ، والهمَّة العالية.

فمن كانت همَّته حفظَ جميع كتب محمد بن الحسن[1]**، واقترن بذلك الجِدُّ والمواظبةُ، فالظَّاهر أنَّه يحفظ أكثرها أو نصفها، فأمَّا إذا كانت له همَّةٌ عاليةٌ ولم يكن له جِدٌّ، أو كان له جِدٌّ ولم تكن له همَّةٌ عاليةٌ لا يحصل له العلم إلَّا قليلًا.**

(١) في نسخة: (حفظَ جميع الكتب التي يصنفون في شريعة محمَّد) ﷺ.

وقد قيلَ: الكسل من قلَّة التَّأمُّل في مناقب العلم وفضائله، فينبغي للمتعلِّم أن يبعث نفسَه على التَّحصيل والجِدِّ والمواظبة بالتأمُّل في فضائل العلم؛ فإنَّ العلم يبقى ببقاء المعلومات، والمالَ يفنى.

والعلمُ النَّافع يحصل به حُسن الذِّكر، ويبقى ذلك بعد وفاته ففيه حياةٌ أبديَّةٌ.

وأنشدنا الشيخ الإمام المرغيناني ت(٥٩٣هـ): [البسيط]:

الجاهلون موتى قبل موتهمُ والعالمون وإن ماتوا فأحياءُ

وكفى بلذة العلم والفقه والفهم داعيًا وباعثًا للعاقل على تحصيل العلم.

[**ومما يساعد على الجِدِّ: تقليل الأكل**]، وتأمَّل في مضارِّ كثرة الأكل وهي: الأمراض وكلالة الطَّبع، وقيل: البِطْنةُ تُذهبُ الفِطْنة.

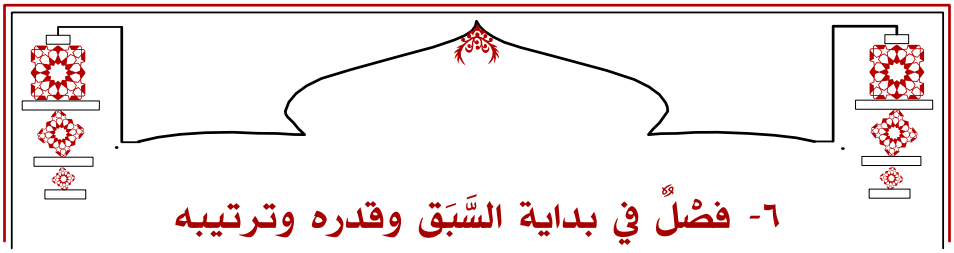

٦- فصْلٌ في بداية السَّبَق وقدره وترتيبه

قال مشايخنا رحمهم الله: ينبغي أن يكون قدر السَّبَق للمبتدئ قدر ما يمكنُ ضبطه بالإعادة مرَّتين بالرِّفق، ويزيد كلَّ يومٍ كلمةً حتى إنَّه -وإن طال وكثرَ- يمكنُ ضبطه بالإعادة مرَّتين، ويزيد بالرِّفق والتَّدريج، وأمَّا إذا طال السَّبَق في الابتداء واحتاج إلى الإعادة عشر مرَّاتٍ فهو في الانتهاء أيضًا يكون كذلك؛ لأنَّه يعتاد ذلك، ولا يترك تلك الإعادةَ، وقد قيل: السَّبَق حرفٌ، والتَّكرارُ ألفٌ.

وينبغي أن يبتدئ بشيءٍ يكون أقرب إلى فهمه، وكان الشَّيخ الإمام الأستاذ شرف الدِّين العَقيليُّ ت(٥٩٦هـ) رحمه الله يقول: «الصَّوابُ عندي في هذا ما فعله مشايخنا رحمهم الله، فإنَّهم كانوا يختارون للمبتدئ صغارات المبسوط؛ لأنَّه أقرب إلى الفهم والضَّبط، وأبعدُ من الملالة، وأكثرُ وقوعًا بين النَّاس».

وينبغي أن يعلَّق السَّبَقُ[1] بعد الضَّبط والإعادة كثيرًا، فإنه نافع جدا.

---

(١) التعليق عبارةٌ عن الكتابة، يعني كانوا في الزمان الأول يحفظون السَّبَق من الأستاذ، ثم يكتبونه ويسمونه تعليقًا.
والسَّبَق ضبطه الشيخ إبراهيم بن إسماعيل في شرحه بفتح الباء، وهو الجزء المقرَّر من الدرس اليوميّ

ولا يكتب المتعلِّم شيئًا لا يفهمه، فإنَّه يورث كلالة الطَّبع، ويُذهب الفطنةَ، ويضيِّعُ أوقاته.

وينبغي أن يجتهد في الفهم من الأستاذ بالتأمُّل وبالتَّفكُّر وكثرة التَّكرار، فإنَّه إذا قلَّ السَّبَق وكثُرَ التَّكرارُ والتَّأمُّلُ يُدركُ ويفهَم.

قيل: «حفظ حرفين، خيرٌ من سماع وِقْرين، وفهمُ حرفين خيرٌ من حفظ سطرين».

وإذا تهاون في الفهم ولم يجتهد مرَّةً أو مرَّتين يعتاد ذلك فلا يفهم الكلام اليسير، فينبغي ألَّا يتهاون في الفهم، بل يجتهد ويدعو الله ويتضرَّع إليه؛ فإنَّه يجيبُ من دعاه، ولا يخيِّبُ من رجاه.

ولا بدَّ لطالب العلم من المذاكرة، والمناظرة، والمطارحة، وينبغي أن يكون كلٌّ منها بالإنصاف والتأنِّي والتَّأمُّل، ويتحرَّز عن الشَّغْب[1] والغضب، فإنَّ المناظرة والمذاكرة مشاورةٌ، والمشاورة إنَّما تكون لاستخراج الصَّواب، وذلك إنَّما يحصل بالتأمُّل والتأنِّي والإنصاف، ولا يحصل بالغضب والشَّغْب.

---

(١) قال في مختار الصحاح ص(١٦٦): «الشَّغْب: بالتَّسكين تهييج الشَّرِّ، ولا يقال: «شَغَب» بالتحريك».

فإن كانت نيَّته من المباحثة: إلزامُ الخصم وقهرُه فلا تحلُّ المناظرة، وإنما تحلُّ لإظهار الحقِّ، والتَّمويهُ والحيلةُ فيها لا تجوز، إلَّا إذا كان الخصم متعنِّتًا، لا طالبًا للحقِّ.

وفائدة المطارحة والمناظرة أقوى من فائدة مجرَّد التَّكرار؛ لأنَّ فيه تكرارًا وزيادة.

وقيل: مطارحة ساعةٍ خيرٌ من تكرار شهرٍ، لكن إذا كان مع منصفٍ سليم الطَّبيعة.

وإيَّاك والمذاكرة مع متعنِّتٍ غير مستقيم الطَّبع، فإنَّ الطبيعةَ متسرِّيةٌ، والأخلاقَ متعدِّيةٌ، والمجاورةَ مؤثِّرةٌ.

وينبغي لطالب العلم أن يكون متأمِّلًا في جميع الأوقات في دقائق العلوم ويعتاد ذلك، فإنَّما **يدرك الدَّقائق بالتأمُّل، فلهذا قيل: تأمَّلْ تُدركْ.**

ولا بدَّ من التأمُّل قبل الكلام حتى يكون صوابًا، فإنَّ الكلام كالسَّهم، فلا بدَّ من تقويمه قبل الكلام حتى يكون مصيبًا.

ويكونُ مستفيدًا في جميع الأوقات والأحوال من جميع الأشخاص[1].

---

(١) يأخذ طالب العلم من أهل العلم من غير نظرٍ إلى كون العالم خاملًا أو مشهورًا، ويأخذ العلم ممَّن فوقه وممن هو مثله وممن هو دونه في المرتبة أو العلم أو الشُّهرة أو النَّسب أو السِّنِّ، ويبارك للإنسان علمه بالتواضع، ومن صور الكبر الخفيِّ عند بعض طلَّاب العلم: البحثُ عن الأخذ عن المشاهير ليفخر بهم، وترك الخاملين =

ولهذا قال أبو يوسفَ حين قيل: **بمَ أدركتَ العلم**؟ قال: ما استنكفتُ من الاستفادة، وما بخلتُ بالإفادة.

وقيل لابن عباس ﵁: بمَ أدركتَ العلم؟ قال: بلسان سؤولٍ، وقلب عقولٍ، وبدنٍ في السَّرَّاء والضَّرَّاء صَبورٍ.

وإنَّما سمِّيَ طالب العلم: «ما تقول» لكثرة ما كانوا يقولون في الزمان الأول: ما تقول في هذه المسألة؟

وإنما تفقَّه أبو حنيفة ﵁ بكثرة المطارحة والمذاكرة **في دكَّانه حين كان بزَّازًا**[1]، **وكان أبو حفصٍ الكبيرُ البخاريُّ ت(٢١٧هـ) يكتسبُ ويكرِّرُ**، فإن كان لا بدَّ لطالب العلم من الكسب لنفقة عياله وغيره فليكتسبْ وليكرِّر، وليذاكرْ ولا يكسلْ، وليس لصحيح البدن والعقل والفقير عذرٌ في ترك التَّعلُّم والتفقّه، فإنَّه لا يكون أفقرَ من أبي يوسف ﵁، ولم يمنعه ذلك من التَّفقُّه.

فبهذا يعلم أنَّ تحصيل العلم والفقه يجتمع مع الكسب.

= من أهل العلم والفضل، قال الغزاليُّ ﵀: «فلا ينبغي لطالب العلم أن يتكبَّر على المعلِّم، ومن تكبُّره على المعلِّم أن يستنكفَ عن الاستفادة إلَّا من المرموقين المشهورين، وهو عينُ الحماقة؛ فإنَّ العلم سبب النَّجاة والسَّعادة ومن يطلب مهربًا من سبُعٍ ضارٍّ يفترسه لم يفرِّق بين أن يرشده إلى الهرب مشهورٌ أو خاملٌ». إحياء علوم الدِّين (١/ ٥٠)، هذا ويتحرَّز طالب العلم الأخذ من أهل الأهواء والبدع.

(١) أي: يبيع البَزَّ وهو الثياب.

ومن كان له مالٌ كثيرٌ فلا يبخل، وينبغي أن يتعوَّذ بالله من البخل.

قال النَّبيُّ ﷺ: «**أيُّ داءٍ أدوأُ من البخل؟**»[(١)].

وكان أبو الشّيخ الإمام الأجلِّ شمس الأئمة الحلواني رحمه الله فقيرًا يبيع الحلواء، وكان يعطي الفقهاء من الحلوى، **ويقول: ادعوا لابني**؛ فببركة جُوده واعتقاده وشفقته وتضرُّعه إلى الله تعالى نال ابنه ما نالَ.

ويشتري بالمال الكتبَ ويَستكْتِبُ[(٢)] فيكون عونًا على التَّعلم والتَّفقه، وقد كان لمحمَّد بن الحسن رحمه الله مالٌ كثيرٌ حتى كان له ثلاثمائة من الوكلاء على ماله، وأنفقه كلَّه في العلم والفقه، ولم يبقَ له ثوبٌ نفيسٌ، فرآه أبو يوسف في ثوب خَلِقٍ فأرسل إليه ثيابًا نفيسةً فلم يقبلها **فقال: عُجِّل لكم، وأُجِّل لنا**، ولعلَّه إنَّما لم يقبله - وإن كان قبول الهديَّة سنةً - لما رأى في ذلك مذلَّةً لنفسه، قال رسول الله ﷺ: «**ليس للمؤمن أن يذلَّ نفسه**»[(٣)].

وهكذا ينبغي لطالب العلم أن يكون ذا همَّةٍ عاليةٍ لا يطمعُ في أموال النَّاس، ولا يبخل بما عنده من المال، بل ينفق على نفسه وعلى غيره.

وكانوا في الزَّمان الأوَّل يتعلَّمون الحِرفة ثمَّ يتعلَّمون العلم حتى لا يطمعوا في أموال الناس، وفي الحكمة: «من استغنى بمال الناس افتقر»، والعالم إذا كان طمَّاعًا لم يَبْقَ له حرمة العلم، ولا يقول بالحقِّ.

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٢٩٦).

(٢) أي: أن ينسخ له غيره.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه (٢٢٥٤) وحسَّنه.

وينبغي ألَّا يرجوَ إلَّا من الله تعالى ولا يخاف إلَّا منه، ويظهر ذلك بمجاوزة حدِّ الشرع وعدمها، فمن عصى الله تعالى خوفًا من المخلوق فقد خاف غير الله تعالى، فإذا لم يعص الله تعالى لخوف المخلوق وراقب حدود الشَّرع فلم يخفْ غير الله تعالى، بل خاف الله تعالى، وكذا في جانب الرجاء.

وينبغي لطالب العلم أن يَعُدَّ ويقدِّر لنفسه تقديرًا في التَّكرار فإنه لا يستقرُّ قلبه حتى يبلغ ذلك المبلغ.

وينبغي لطالب العلم أن يكرِّر سبَق الأمس خمس مرَّاتٍ، وسبَقَ اليوم الذي قبل الأمس أربعَ مرَّاتٍ، والسَّبَق الذي قبله ثلاثًا، والذي قبله اثنين، والذي قبله واحدًا، فهذا أدعى إلى الحفظ.

وينبغي ألَّا يعتادَ المخافتة في التَّكرار؛ لأنَّ الدَّرس والتَّكرار ينبغي أن يكون بقوَّةٍ ونشاط، ولا يجهرَ جهرًا يُجهِد نفسَه كيلا ينقطع عن التَّكرار، فخير الأمور أوسطها.

وينبغي ألَّا يكون لطالب العلم فترةٌ؛ فإنها آفةٌ، وكان أستاذنا شيخ الإسلام برهان الدين رحمه الله ت(٥٩٣هـ) يقول: «إنما غلبتُ شركائي بأنِّي لا تقع لي الفترة في التَّحصيل».

٧- فصْلٌ في التَّوكُّل [على الله تعالى]

ثم لا بدَّ لطالب العلم من التوكُّل في طلب العلم، ولا يهتمُّ لأمر الرِّزق ولا يشغل قلبه بذلك، فإنَّ من اشتغل قلبه بأمر الرِّزق من القوتِ والكسوةِ قلَّما يتفرغ لتحصيل مكارم الأخلاق ومعالي الأمور.

فينبغي لكلِّ أحدٍ أن يشغل نفسه بأعمال الخير حتَّى لا تشتغل نفسه بهواها، ولا يهتمُّ العاقل لأمر الدُّنيا؛ لأنَّ الهمَّ والحزن لا يردُّ المصيبة ولا ينفع، بل يضرُّ بالقلب والعقل والبدن، ويخلُّ بأعمال الخير، ويهتمُّ لأمر الآخرة لأنه ينفع.

ولا بدَّ لطالب العلم من تقليل العلائق الدنيوية بقدر الوسع والإمكان؛ ولهذا اختاروا الغربة، ولا بدَّ من تحمُّل النَّصب والمشقَّة في سفر التَّعلم، كما قال موسى صلوات الله على نبينا وعليه في سفر التعلم، ولم ينقل عنه ذلك في غيره من الأسفار ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾ [الكهف: ٦٢] ليُعلمَ أنَّ **سفر العلم لا يخلو عن التَّعب؛ لأنَّ طلب العلم أمرٌ عظيمٌ**[(١)]،

(١) استنبط الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى من قصَّة موسى مع الخضر عليهما السلام فوائد كثيرة، ومنها تسع عشرة فائدةً متعلقة بـ«آداب العالم والمتعلم»، وهي: الأولى: تسمية التلميذ الخادم فتًى، الثانية: أنَّ تلك الخدمة ممَّا يرفع الله بها =

وهو أفضل من الغُزاة عند أكثر العلماء، والأجر على قدر التَّعب والنَّصب، فمن صبر على ذلك التَّعب وجد لذَّة العلم تفُوقُ لذَّات الدنيا.

ولهذا كان محمد بن الحسن إذا سهر اللَّيالي وانحلَّتْ له المشكلاتُ يقول: أين أبناء الملوك من هذه اللذات؟!

وينبغي لطالب العلم ألَّا يشتغل بشيءٍ آخر غير العلم ولا يُعرِضُ عن التَّفقه، قال محمد بن الحسن رحمه الله: «صِناعتنا هذه من المهد إلى اللَّحد، فمن أراد أن يترك علمنا هذا ساعةً فليتركه السَّاعة».

ودخل فقيهٌ - وهو إبراهيم بن الجرَّاح ت(٢١٧هـ) - على أبي يوسفَ ت(١٨٢هـ) يعُودُه في مرض موته وهو يجودُ بنفسه، فقال أبو يوسف: رميُ

= كما رفع يوشع، الثالثة: تعلُّم العالم ممن دونه، الرابعة: اتخاذ ذلك نعمةً يبادر إليها، لا نقمةً يبغضها، الخامسة: التعلُّم بعد الرئاسة، السادسة: الرِّحلة في طلب العلم، السابعة: رحلة الفاضل إلى المفضول، الثامنة: ركوب البحر لطلب العلم، التاسعة: شروط الشَّيخ على المتعلم، العاشرة: التزام المتعلِّم للشروط، الحادية عشرة: الاعتذار بالنِّسيان، الثانية عشرة: قبول الاعتذار، الثالثة عشرة: أدب المتعلِّم لقوله: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾ [الكهف: ٦٦] إلى آخره، الرابعة عشرة: قبول نصيحة الشَّيخ لعلمه منك ما لا تعلمه من نفسك، وإن كنتَ أفضل منه، الخامسة عشرة: أنَّ من المسائل ما لا يجوز السُّؤال عنه، السادسة عشرة: أنَّ من المسائل ما لا ينبغي للمسؤول أن يجيب فيها، السابعة عشرة: إعفاء المعلِّم ممَّا يكره، الثامنة عشرة: مفارقة المتعلِّم إذا خالف الشَّرط، التاسعة عشرة: احتمال المشاقِّ في طلب العلم لقوله: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾ [الكهف: ٦٢]، ينظر: مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٥/ ٢٥٥-٢٥٦).

الجمار راكبًا أفضل أم راجلًا؟ فلم يعرف الجواب، فأجاب بنفسه[١].

وهكذا ينبغي للفقيه أن يشتغل به في جميع أوقاته، فحينئذ يجد لذَّةً عظيمةً في ذلك.

وقيل: رؤي محمَّد بن الحسن في المنام بعد وفاته فقيل له: كيف كنت في حال النَّزع؟ فقال: كنتُ متأمِّلًا في مسألةٍ من مسائل المكاتَب، فلم أشعُرْ بخروج روحي.

وقيل: إنَّه قال في آخر عمره: شغلتني مسائل المكاتَب عن الاستعداد لهذا اليوم، وإنَّما قال ذلك تواضعًا منه.

(١) قال الجواهر المضية في «طبقات الحنفية» (١/ ٣٦) عن الجرَّاح: «وهو آخر من روى عن أبي يوسف، قال: أتيته أعوده، فوجدته مغمًى عليه، فلمَّا أفاق قال لي: يا إبراهيم أيما أفضل في رمي الجمار أن يرميها الرجل راجلًا أو راكبًا؟ فقلت: راجلًا، فقال أخطأتَ، فقلتُ راكبًا، فقال لي أخطأت، ثمَّ قال: أمَّا ما كان يوقف عنده للدُّعاء فالأفضل أن يرميه راجلًا، وأمَّا ما كان لا يوقف عند فالأفضل أن يرميه راكبًا، ثمَّ قمتُ من عنده، فما بلغتُ باب داره حتى سمعت الصُّراخَ عليه، وإذا هو قد مات».

٨- فصْلٌ في وقت التَّحصيل

قيل: وقت التَّعلُّم من المهد إلى اللَّحد، ودخل الحسن بن زيادٍ ت(٢٠٤هـ) في التفقُّه وهو ابن ثمانين سنةً، ولم يبِتْ على الفراش أربعين سنةً[(١)] فأفتى بعدَ ذلك أربعين سنةً.

وأفضل الأوقات: شرْخُ الشَّباب، ووقت السَّحر، وما بين العشائين، وينبغي أن يستغرقَ جميع أوقاته، فإذا ملَّ من علمٍ يشتغلُ بعلمٍ آخر.

وكان ابن عباس ﷺ إذا ملَّ من الكلام يقول: «هاتوا ديوان الشعراء».

وكان محمد بن الحسن ت(١٨٩هـ) لا ينام اللَّيل، وكان يضع عنده الدَّفاتر، وكان إذا ملَّ من نوعٍ ينظر في نوعٍ آخر، وكان يضع عنده الماء، ويزيل نومَه بالماء، وكان يقول: إنَّ النَّوم من الحرارة، فلا بدَّ من دفعه بالماء البارد.

(١) هذا فيه نظرٌ ولا يصحُّ؛ إذ لم يذكره أحدٌ ممن ترجم لابن زياد إلا طاش كبري زاده في مفتاح السعادة (١/ ٢٣) بصيغة التمريض، ولعله استقاه من الزرنوجي، أفاده الشيخ عبد الله علي جيله حفظه الله في شرحه.

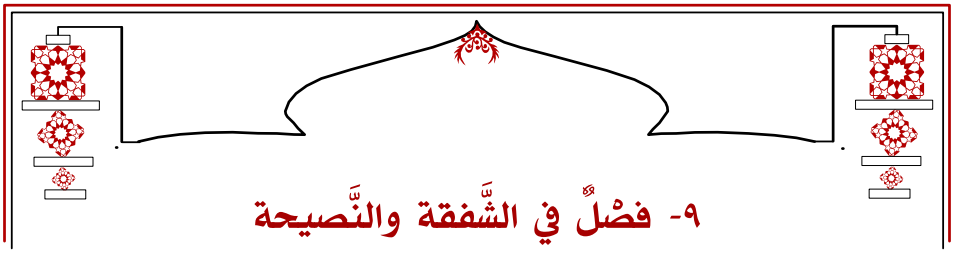

٩- فصْلٌ في الشَّفقة والنَّصيحة

ينبغي أن يكون صاحب العلم مشفقًا ناصحًا غير حاسدٍ، فالحسدُ يضُرُّ ولا ينفع[(١)]، وكان أستاذنا شيخ الإسلام برهان الدين ﷺ يقول: قالوا إنَّ ابن المعلِّم يكون عالمـًا؛ لأنَّ المعلِّم يريد أن يكون تلاميذُه في القرآن علماء، فببركة اعتقاده وشفقته يكون ابنه عالمـًا.

---

(١) قال د/ سلطان العميريُّ في كتابه «جُنَّة السالكين في شرح الوصيَّة الصُّغرى» ص(٢٣٤-٢٣٥) ما خلاصته: الحسدُ آفةٌ من أشدِّ الآفات التي تكثر بين المشتغلين في العلم الشَّرعيِّ والدَّعوة إلى الله، وهو مرضٌ خطيرٌ يحدث الشِّقاق والبغي والظُّلم، ويشقُّ الصُّفوف، ويمحق البركة، وله علاماتٌ منها: ١- الفرح بوقوع الخطأ من أخيه ٢- والفرح بما يفوت قرينه من الخير كتغيُّبه عن الدَّرس العلميّ، أو عدم مدح شيخه لأخيه ٣- والفرح بتعرُّض أخيه للنَّقد والتَّجريح من الآخرين ٤- وأن يجد الحاسد في نفسه ضيقًا إذا سمع أحدًا يمدح أخاه، أو يمدح كتابه أو درسه ٥- وكذا أن يسعى الحاسد إلى أن يقلِّلَ من قيمة أخيه، أو قيمة كتبه وأبحاثه ودروسه، وأن يحرص أن يجد فيها خللًا أو عيبًا ٦- وكذلك من العلامات عدم دلالة إخوانه على الدروس المفيدة واللقاءات العلميَّة حسدًا لهم من أن يفيدوا كما أفاد، وقد اشتدَّ نكير علماء السلف لخصلة الحسد، فقد قال الإمام أحمد بن حنبلٍ: - بعد أن سئل أنَّ بعض أهل العلم لا يرضى عن الإمام الشَّافعيِّ - قال: «واعلموا أنَّ الرَّجل من أهل العلم إذا منحه الله شيئًا من العلم وحُرِمَه قرناؤه وأشكاله حسدوه، فرَموه بما ليس فيه، وبئست الخصلةُ في أهل العلم!» ذكره البيهقيُّ في مناقب الشافعي (٢/ ٢٥٩).

وينبغي ألَّا ينازع أحدًا ولا يخاصمَه؛ لأنَّه يضيِّع أوقاته، قيل: المحسنُ سيجزى بإحسانه، والمسيء ستكفيه مساويه.

قيل: من أراد أن يرغِم أنف عدوِّه فليكرِّر درسه، وأنشدتُ فيه:

إذا شئت أن تلقى عدوَّك راغمًا ... وتقتلَه غمًّا وتُحرِقَه همَّا
فرُمْ للعُلى وازددْ من العلم إنَّه ... من ازداد علمًا زاد حاسده غمَّا

قيل: عليك أن تشتغل بمصالح نفسك لا بقهر عدوِّك، فإذا أقمتَ مصالح نفسك تضمَّن ذلك قهرَ عدوِّك، وإيَّاك والمعاداة، فإنها تفضحك وتضيِّعُ أوقاتك، وعليك بالتحمُّل لا سيَّما من السفهاء.

وإياك أن تظن بالمؤمنين سوءًا فإنَّه منشأ العداوة ولا يحلُّ ذلك، وإنما ينشأ ذلك من خبث النية وسوء السريرة.

كما قال أبو الطيب [الطويل]:

إذا ساء فعلُ المرء ساءت ظنونُه ... وصدَّقَ ما يعتادُه من توهُّمِ
وعادى محبِّيه بقول عِداته ... وأصبحَ في ليلٍ من الشَّكِّ مظلمِ

[قال المهذِّب:

أوصى المصنِّف رحمه الله بـ«حسن الظنِّ»، وهناك نصَّان عزيزان[١]:

أوّلهما للحافظ أبي حاتمٍ ابن حبان البُستي ت(٣٥٤هـ) في روضة العقلاء ونزهة الفضلاء قال رحمه الله: «**التَّجسُّس من شعب النِّفاق، كما أنَّ حسن الظَّنِّ من شُعَب الإيمان**، والعاقلُ يحسن الظَّنَّ بإخوانه، وينفردُ بغمومه وأحزانه، كما أنَّ الجاهل يسيء الظَّنَّ بإخوانه، ولا يفكِّر في جناياته وأشجانه»[٢].

والثاني للعلامة ابن عثيمين ت(١٤٢١هـ) قال رحمه الله: «**يحرم سوء الظَّنِّ بمسلمٍ، أمَّا الكافرُ فلا يحرم سوء الظَّنِّ فيه؛ لأنَّه أهلٌ لذلك**، وأمَّا من عُرفَ بالفسوق والفجور فلا حرج أن نسيء الظَّنَّ به؛ لأنه أهلٌ لذلك، **ومع هذا لا ينبغي للإنسان أن يتتبَّع عوراتِ الناس، ويبحثَ عنها؛ لأنه قد يكون متجسِّسًا بهذا العمل**، ويستحبُّ للإنسان أن يظنَّ بالمسلمين خيرًا، **وإذا وردت كلمةٌ من إنسانٍ تحتمل الخير والشَّرَّ فاحملها على الخير ما وجدتَ لها محملًا**، وإذا حصل فعلٌ من إنسانٍ يحتمل الخير والشَّر فاحمله على الخير ما وجدتَ له محملًا؛ لأنَّ ذلك يزيلُ ما في قلبك من الحقد والعداوة والبغضاء ويريحك، فإذا كان الله عزوجل لم

---

(١) استفدتهما من تحقيق الشيخ عليٍّ الرازحيِّ حفظه الله لكتاب (تعليم المتعلم).
(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ١٢٦).

يُكَلِّفك أن تبحث وتنقِّب فاحمد الله على العافية، وأحسن الظَّنَّ بإخوانك المسلمين، وتعوَّذْ من الشَّيطان الرَّجيم. . . **وروى أبو داود من حديث ابن مسعودٍ** رضي الله عنه أنَّ النَّبي ﷺ قال: «**لا يحدِّثني أحدٌ عن أحدٍ شيئًا؛ فإنِّي أحبُّ أن أخرج إليكم وأنا سليمُ الصَّدر**»، **وهذا هو اللَّائق بالمسلم**، أما من فُتِنَ - والعياذ بالله - وصار يتتبَّع عورات النَّاس، ويبحث عنها، وإذا رأى شيئًا يحتمل الشَّرَّ ولو من وجهٍ بعيدٍ طار به فرحًا ونَشَره، فليبشر بأنَّ من تتبَّع عورة أخيه تتبَّع الله عورته، ومن تتبَّع الله عورته فضحه ولو في جُحر بيته»[(١)].

(١) الشرح الممتع على زاد المستقنع (٥/ ٣٠٠).

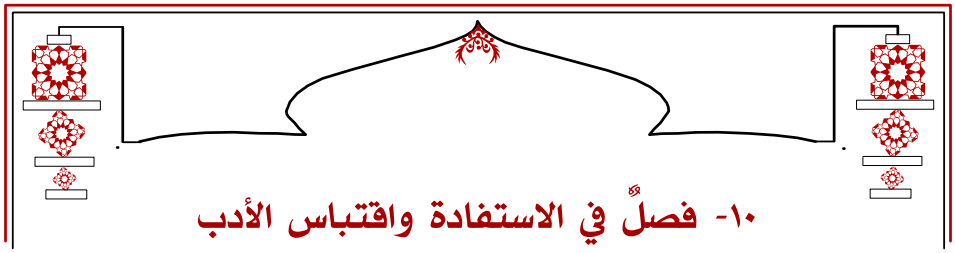

١٠- فصلٌ في الاستفادة واقتباس الأدب

وينبغي أن يكون طالب العلم مستفيدًا في كلِّ وقتٍ حتَّى يحصل له الفضل والكمال في العلم، وطريقُ الاستفادة أن يكون معه في كلِّ وقتٍ مِحبَرةٌ حتَّى يكتب ما يسمع من الفوائد العلمية.

قيل: ما حُفِظ فرَّ، وما كُتِب قَرَّ، **وقيل: العلم ما يؤخذ من أفواه الرجال؛ لأنَّهم يحفظون أحسن ما يسمعون، ويقولون أحسن ما يحفظون.**

فينبغي ألَّا يضيع طالب العلم الأوقات والسَّاعات، ويغتنم اللَّيالي والخلوات، يحكى عن يحيى بن معاذٍ الرَّازيِّ أنَّه قال: اللَّيل طويلٌ فلا تقصِّره بمنامك، والنهار مضيءٌ فلا تكدِّرْه بآثامك.

وينبغي أن يغتنم الشيوخ ويستفيدَ منهم، وليس كلُّ ما فات يدرك، كما قال أستاذنا شيخ الإسلام [البرهان المرغيناني صاحب الهداية ت٥٩٣هـ] في مشيخته: كم من شيخٍ كبيرٍ أدركتُه وما استخبرتُه.

ولا بدَّ لطالب العلم من تحمُّل المشقَّة والمذلَّة في طلب العلم، والتملُّقُ مذمومٌ إلَّا في طلب العلم، فإنَّه لا بدَّ له من التَّملق للأستاذ والشَّريك وغيرهم للاستفادة منهم، قيل: العلم عِزٌّ لا ذُلَّ فيه، ولا يُدرَكُ إلَّا بذُلٍّ لا عِزَّ فيه.

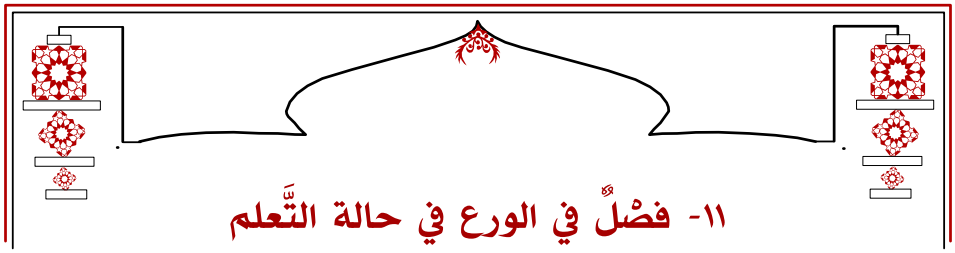

١١- فصْلٌ في الورع في حالة التَّعلم

مهما كان طالب العلم أورعَ كان علمه أنفعَ، والتَّعلُّم له أيسرَ وفوائده أكثرَ، ومن الورع الكامل: أن يتحرَّز عن الشِّبع، وكثرة النَّوم، وكثرة الكلام فيما لا ينفع، وأن يتحرَّز عن أكل طعام السُّوق إن أمكن[١]؛ لأن طعام السوق أقرب إلى النجاسة والخباثة، وأبعد عن ذكر الله وأقرب إلى الغفلة؛ ولأنَّ أبصار الفقراء تقع عليه، ولا يقدرون على الشِّراء منه، فيتأذَّون بذلك فتذهب بركته.

وهكذا كانوا يتورعون؛ فلذلك وفِّقوا للعلم والنشر حتى بقي اسمهم إلى يوم القيامة.

ووصَّى فقيهٌ من زهَّاد الفقهاء طالبَ علمٍ فقال له: عليك أن تتحرَّز عن الغيبة، وعن مجالسة المكثار، وقال: «إنَّ من يكثرُ الكلامَ يسرقُ عمرَك ويضيِّعُ أوقاتَك».

---

(١) أي: لا يكون الأكل في أوساط النَّاس سجيَّةً له، أمَّا الجواز فليس هناك ما يمنع شرعيًّا، وليس الكلام فيما أعِدَّ للأكل فيه داخل السوق مثل المطاعم ونحوها، قاله الشيخ الرَّازحي حفظه الله في تحقيقه على تعليم المتعلم ص(١٣٢)، وأفاد الشَّيخ مشهور بن حسن حفظه الله في كتاب (المروءة وخوارمها) ص(٩٣-٩٧) أنَّ الأكل في السُّوق يخرم المروءة إذا جمع أربعة أمورٍ: أن يكون بمرءى الناس، وأن يكون الأكل كثيرًا، وأن يكون الشَّخص من غير أهل السُّوق، وأن يكون الشَّخص مختارًا أكله.

ومن الورع أن يجتنب أهلَ الفساد والمعاصي والتَّعطيل، ويجاورَ الصُّلحاءَ؛ فإنَّ المجاورةَ مؤثِّرةٌ لا محالةَ، وأن يجلسَ مستقبل القبلة، ويكون مستنًّا بسنَّة النبي ﷺ، ويغتنم دعاء أهل الخير، ويتحرَّز عن دعوة المظلومين(١).

فينبغي لطالب العلم ألَّا يتهاون بالآداب والسنن، فإنَّ من يتهاونُ بالأدب يُحرمُ السُّنن، ومن تهاون بالسُّنن حُرِمَ الفرائض، ومن تهاون بالفرائض حُرِمَ الآخرة.

وينبغي أن يكثر الصَّلاة، ويصلِّي صلاة الخاشعين، فإن ذلك عونٌ له على التَّحصيل والتعلُّم.

وينبغي أن يستصحب دفترًا على كلِّ حالٍ ليطالعه، وقيل: من لم يكن الدَّفترُ في كُمِّه لم تثبت الحكمةُ في قلبه.

وينبغي أن يكون في الدَّفتر بياضٌ ليكتبَ فيه ما سمعه من أفواه الرِّجال، ويستصحبَ المِحبَرة ليكتب ما يسمع من العلماء.

(١) ومن بديع ما ختم به شيخ الإسلام ابن تيميَّة كتابه «الواسطية» قوله: (وينهون عن الفخرِ والخيلاءِ والبغيِ والاستطالة على الخلق بحقٍّ أو بغير حقٍّ).

[قال المهذِّب :

سأعلِّق على مسألتين من هذا الباب:

المسألة الأولى: أوصى الشيخ ﷺ لطالب العلم بالورع، وهو بابٌ واسعٌ من العلم، فيتورّع طالب العلم من أمورٍ:

أوَّلا: يتورَّع من المشبَّهات التي ليست بحلالٍ بيِّنٍ، ولا حرامٍ بيِّنٍ.

ثانيًا: يتورَّع من المسائل الخلافيَّة بين أهل العلم، ولا يستدلُّ بالخلاف؛ ولذا قعَّد الإمام الشافعيُّ قاعدةَ: «الخروج من الخلاف مستحبٌّ»، وقرَّرها الإمام البخاريُّ في «صحيحه» باب ما يذكر في الفخذ، **وقد نقل ابن عبد البرِّ الإجماع على أن الاختلاف ليس بحجَّةٍ فقال: «الاختلاف ليس بحجَّةٍ عند أحدٍ علمتُه من فقهاء الأمَّة إلَّا من لا** بصر له ولا معرفة عنده، ولا حجَّة في قوله»[(١)].

وقال العلَّامة الشَّاطبيُّ ت(٧٩٠هـ): «صار الخلاف في المسائل معدودًا في حجج الإباحة، ووقع فيما تقدَّم وتأخَّر من الزَّمان الاعتماد في جواز الفعل على كونه مختلفًا فيه بين أهل العلم، لا بمعنى مراعاة الخلاف؛ فإنَّ له نظرًا آخر، بل في غير ذلك، **فربَّما وقع الإفتاء في المسألة بالمنع؛ فيقال: لِمَ تمنعُ والمسألة مختلف فيها، فيجعل الخلاف حجة في الجواز لمجرد كونها مختلفًا فيها، لا لدليل يدل على**

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٢٢).

صحة مذهب الجواز، ولا لتقليد من هو أولى بالتقليد من القائل بالمنع، وهو عين الخطأ على الشريعة حيث جَعَل ما ليس بمعتمدٍ متعمدًا، وما ليس بحجَّة حجةً»[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «تعليل الأحكام بالخلاف علَّةٌ باطلةٌ في نفس الأمر؛ فإنَّ الخلاف ليس من الصفات التي يعلِّق الشارع بها الأحكام في نفس الأمر؛ فإنَّ ذلك وصفٌ حادثٌ بعد النبي ﷺ، ولكن يسلكه من لم يكن عالمًا بالأدلَّة الشَّرعية في نفس الأمر **لطلب الاحتياط»**[(٢)].

ثالثًا: ويتورّع أيضًا طالب العلم في مأكله ومشربه وملبسه.

رابعًا: يتورَّع من الحكم على الناس بالظنِّ والتهمة، والقيل والقال، كما يتورع من أموال الناس وأحوالهم وأشدَّ، قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة: «ومعلومٌ أنَّ الحكم بين النَّاس في عقائدهم وأقوالهم أعظمُ من الحكم بينهم في مَبايعهم وأموالهم»[(٣)].

وأمَّا المسألة الثانية: فقد حذّر الشيخ رحمه الله تعالى من الغيبة، وهي من الذنوب المنتشرة التي يقلُّ من يَسْلم منها، ولشيخ الإسلام ابن تيميَّة نصٌّ نفيسٌ في أحوال الناس في الغيبة، أنقله بطوله لنفاسته، قال

---

(١) الموافقات (٥/ ٩٣).
(٢) مجموع الفتاوى (٢٣/ ٢٨١).
(٣) في درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٤٦٤).

رحمه الله تعالى: «**فمن الناس من يغتاب موافقةً لجلسائه وأصحابه وعشائره**، مع علمه أنَّ المغتاب بريءٌ ممَّا يقولون أو فيه بعض ما يقولون؛ لكن يرى أنَّه لو أنكر عليهم قُطِع المجلسُ واستثقله أهل المجلس، ونفروا عنه، فيرى موافقتهم من حسن المعاشرة، وطيب المصاحبة، وقد يغضبون فيغضب لغضبهم فيخوض معهم.

❁ **ومنهم من يخرج الغيبة في قوالبَ شتَّى:**

- **تارةً في قالب ديانةٍ وصلاحٍ** فيقول: ليس لي عادةٌ أن أذكر أحدًا إلَّا بخيرٍ، ولا أحبُّ الغيبة ولا الكذب؛ وإنَّما أخبركم بأحواله، ويقول: والله إنَّه مسكينٌ أو رجلٌ جيِّدٌ؛ ولكن فيه كيتَ وكيتَ، وربَّما يقول: دعُونا منه، الله يغفر لنا وله؛ وإنَّما قصده استنقاصه وهضمٌ لجانبه، **ويخرجون الغيبة في قوالب صلاحٍ وديانةٍ، يخادعون الله بذلك كما يخادعون مخلوقًا؛ وقد رأينا منهم ألوانًا كثيرةً من هذا وأشباهه.**

- **ومنهم من يرفع غيره رياءً فيرفع نفسه** فيقول: لو دعوتُ البارحة في صلاتي لفلان؛ لما بلغني عنه كيت وكيت؛ ليرفعَ نفسه ويضعَه عند من يعتقده، أو يقول: فلانٌ بليد الذِّهن قليل الفهم؛ وقصدُه مدحُ نفسه، وإثبات معرفته وأنَّه أفضل منه.

- **ومنهم من يحمله الحسد على الغِيبة فيجمع بين أمرين قبيحين**: الغيبة والحسد، وإذا أثنى على شخصٍ أزال ذلك عنه بما استطاع من تنقُّصه في

قالب دينٍ وصلاحٍ، أو في قالب حسدٍ وفجورٍ وقدحٍ ليُسقِط ذلك عنه.

- **ومنهم من يخرج الغيبة في قالب تمسخرٍ ولعِبٍ** ليضحك غيره باستهزائه ومحاكاته واستصغار المستهزئ به.

- **ومنهم من يخرج الغيبة في قالب التَّعجُّب** فيقول: تعجَّبتُ من فلانٍ كيف لا يفعل كيتَ وكيتَ، ومن فلانٍ كيف وقع منه كيت وكيت، وكيف فعل كيت وكيت، فيخرج اسمه في معرض تعجبه.

- **ومنهم من يخرج الاغتمام** فيقول: مسكينٌ فلانٌ، غمَّني ما جرى له، وما تمَّ له فيظن من يسمعه أنَّه يغتمُّ له ويتأسَّف وقلبه منطوٍ على التَّشفِّي به، ولو قدر لزاد على ما به، وربما يذكره عند أعدائه ليشتفوا به، **وهذا وغيره من أعظم أمراض القلوب والمخادعات لله ولخلقه**.

- **ومنهم من يظهر الغيبة في قالب غضبٍ وإنكار منكرٍ** فيظهر في هذا الباب أشياء من زخارف القول وقصده غير ما أظهر، والله المستعان»[(١)].

وقال الحافظ ابن الجوزي ت(٥٩٧هـ) قريبًا من هذا فقال: «**ومن تلبيس إبليس على أصحاب الحديث: قدحُ بعضهم فِي بعضٍ طلبًا للتَّشفِّي**، ويخرجون ذلك مخرج الجرح والتَّعديل الذي استعمله قدماء هذه الأمَّة للذَّبِّ عن الشَّرع»[(٢)].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٣٨).

(٢) تلبيس إبليس للحافظ ابن الجوزي ص(١٠٥).

ولا شكَّ أنَّ إجماع العلماء قد قام باستثناء غِيبة الرُّواة والكلام فيهم بما فيهم لأجل الله تعالى ولصيانة الملَّة، ومثل هذا: الكلامُ في أهل البدع والتحذير منهم لله تعالى، هذا مع ضوابطَ ذكرها العلماء رحمهم الله، فقد قال الإمام النوويُّ في «شرح مسلمٍ»: «**ثمَّ على الجارح: تقوى الله تعالى في ذلك، والتَّثبُّت فيه، والحذر من التَّساهل بجرح سليمٍ من الجَرح، أو بنقصٍ من لم يظهر نقصه؛ فإنَّ مفسدة الجرح عظيمةٌ؛ فإنَّها غِيبةٌ مؤبَّدةٌ**»(١).

وقال الحافظ ابن دقيق العيد ت(٧٠٢هـ): «ولصعوبة اجتماع هذه الشَّرائط عظُم الخطر في الكلام في الرِّجال؛ لقلَّة اجتماع هذه الأمور في المزكِّين؛ ولذلك قلتُ: **أعراضُ المسلمين حفرةٌ من حفر النَّار، وقف على شفيرها طائفتان من الناس: المحدِّثون والحكَّام**»(٢).

وقد أيَّده الحافظ السَّخاويُّ ت(٩٠٢هـ) في «الفتح المغيث» فقال: «ولما في الجرح من الخطر لمـَّا جيء للتَّقي ابن دقيق العيد بالمـَحضر المكتتب في «التَّقيِّ ابن بنت الأعز» ليكتب فيه، امتنع منها أشدَّ امتناعٍ مع ما كان بينهما من العداوة الشَّديدة، بل وأغلظ عليهم في الكلام، وقال: «ما يحلُّ لي أن أكتبَ فيه! وردَّه، **فتزايدتْ جلالته بذلك، وعُدَّ**

(١) شرح النووي على مسلم (١/ ١٢٤).
(٢) الاقتراح في بيان الاصطلاح (ص: ٦١).

في وفور ديانته وأمانته، وانتفع ابن بنت الأعزِّ بذلك، وكيف لا، والتَّقيُّ هو القائل ممَّا أحسن فيه: «أعراض المسلمين حفرةٌ من حفر النَّار، وقف على شفيرها طائفتان من النَّاس: المحدِّثون والحكَّام»»[1].

وهذا ما عبَّر عنه الحافظ السُّيوطيُّ في ألفيَّته الحديثيَّة بقوله:

وجُوِّز الجرحُ لصون الملَّةْ واحذرْ من الجرحِ لأجل علَّةْ

وقوله (لأجل علَّةْ) أي: إن كان الجرح للتَّحامُل أو للهوى أو ما ليس بثابتٍ عنه أو جُرِح بما ليس بجارحٍ فهو مردودٌ، كما قال الحافظ العراقيُّ في الألفيَّة:

وربَّما رُدَّ كلام الجارحِ كالنَّسئيْ في أحمدَ بن صالحِ]

(١) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث (٤/ ٣٥١).

١٢- فصْلٌ فيما يورث الحفظ وفيما يورث النسيان

وأقوى أسباب الحفظ: الجِدُّ والمواظبة، وتقليل الغذاء، وصلاة الليل، وقراءة القرآن من أسباب الحفظ.

وأمَّا ما يورث النِّسيان فـــ: المعاصي، وكثرة الذُّنوب، والهمومُ والأحزان في أمور الدُّنيا، وكثرة الأشغال والعلائق، وهمومُ الدُّنيا لا تخلو عن الظُّلمة في القلب، وهموم الآخرة لا تخلو عن النُّور في القلب، ويظهر أثره في الصَّلاة، والاشتغال بالصَّلاة على الخشوع وتحصيلِ العلم ينفي الهمَّ والحزنَ.

١٣- فصل فيما يجلبُ الرِّزق وفيما يمنع وما يزيد في العمر وما ينقص

ثم لابدَّ لطالب العلم من القُوت، ومعرفة ما يزيد فيه، وما يزيد في العمر والصِّحة ليتفرَّغ في طلب العلم، وفى كلٍّ ذلك صنَّفوا كتبًا.

وأقوى الأسباب الجالبة للرزق: إقامة الصَّلاة بالتَّعظيم والخشوع.

والحمد لله على التَّمام، وصلى الله على سيِّدنا محمَّدٍ أفضل الرُّسل الكرام، وآله وصحبه الأئمَّة الأعلام، على ممرِّ الدُّهور، وتعاقب الأيَّام، آمين.

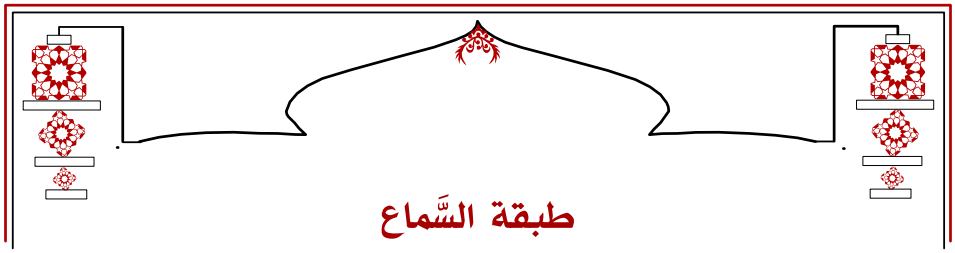

طبقة السَّماع

الطبقة الأولى

سمع عليَّ _____[١] «لُبَابَ تعليمِ المتعلِّم طريق التَّعلُّم» _____[٢] صاحبنا _____[٣]، فتمَّ له ذلك في _____[٤]، بالميعاد المثبَتِ في محَلِّه من نسخته، وأجزتُ له روايته عنِّي؛ إجازةً خاصَّةً من معيَّنٍ لمعيَّنٍ في معيَّنٍ، والحمد لله ربِّ العالمين.

صحيحٌ ذلك

وكتبه د/ محمد ابن الشَّيخ عبد الكريم بن حسن الإسحاقيُّ

يوم/ ليلة _____ من شهر _____ سنة _____

في _____ بمدينة _____

---

(١) يثبت في هذا البياض القدر المسموع من الكتاب هل هو كلُّه أو بعضه؟.

(٢) يثبت في هذا البياض ما يدلُّ على القارئ: هل سمع الكتاب من لفظ الشيخ المسمِع، أم بقراءة مالك النسخة، أم بقراءة غيره؟ ويُعبَّر عن الأول بـ: (من لفظي)، وعن الثاني بـ: (بقراءته)، وعن الثالث بـ: (بقراءة غيره).

(٣) يثبت في هذا البياض اسم السَّامع.

(٤) يثبت في هذا البياض عدد مجالس السَّماع، فيقال: في مجلسٍ واحدٍ، أو مجلسين، أو ثلاثة مجالسَ.

الطَّبقة الثَّانية

سمع عليَّ _____ «لُبَابَ تعليمِ المتعلِّم طريق التَّعلُّم» _____ صاحبنا _____ فتمَّ له ذلك في _____ ، بالميعاد المثبَتِ في محَلِّه من نسخته، وأجزتُ له روايته عنِّي؛ إجازةً خاصَّةً من معيَّنٍ لمعيَّنٍ في معيَّنٍ، بحقِّ روايتي له _____[1] عن محمَّد ابن الشَّيخ عبد الكريم بن حسن، غفر الله له ورحمه، والحمد لله ربِّ العالمين.

صحيحٌ ذلك

وكتبه _____

يوم/ ليلة _____ من شهر _____ سنة_____

في _____ بمدينة _____

(١) يشير الشَّيخ المسمِع إلى كيفية روايته للكتاب عن شيخه: قراءةً أم إجازةً أم قراءةً لبعضه وإجازة باقيه له.

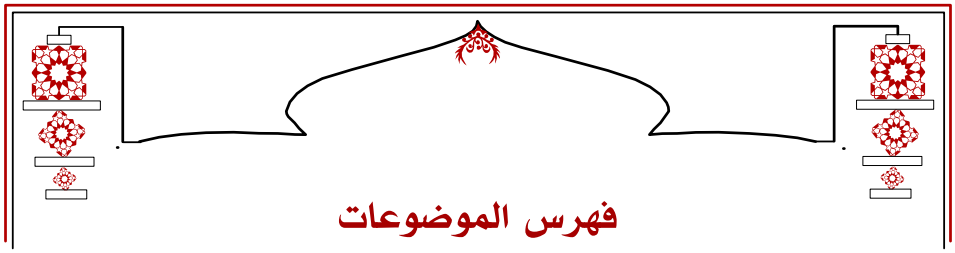

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

المقدمة ٥
مقدمة المصنف ١٥
١- فصل في ماهية العلم، والفقه، وفضله ١٧
٢- فصْلٌ في النِّيَّة في حال التَّعلُّم ٢١
٣- فصل في اختيار العِلْم والأستاذ والشَّريك والثَّبات عليه ٢٧
٤- فصلٌ في تعظيم العلم وأهله ٣٠
٥- فصْلٌ في الجِدِّ والمواظبة والهمَّة ٣٦
٦- فصْلٌ في بداية السَّبَق وقدره وترتيبه ٤٠
٧- فصْلٌ في التَّوكُّل [على الله تعالى] ٤٦
٨- فصْلٌ في وقت التَّحصيل ٤٩
٩- فصْلٌ في الشَّفقة والنَّصيحة ٥٠
١٠- فصلٌ في الاستفادة واقتباس الأدب ٥٤
١١- فصْلٌ في الورع في حالة التَّعلم ٥٥

١٢- فصْلٌ فيما يورث الحفظ وفيما يورث النسيان ٦٣
١٣- فصل فيما يجلبُ الرِّزق وفيما يمنع وما يزيد في العمر وما ينقص .. ٦٤
طبقة السَّماع ٦٥
الطبقة الأولى ٦٥
الطَّبقة الثَّانية ٦٦
فهرس الموضوعات ٦٨